تواسي قصيرة

بائعةُ الدِّجْر

إبراهيم جبران

1434|2013

بائعَـةُ الدِّجر | مجموعة قصصية
نُسخة الكترونية ، خاصة بالأجهزة الذكية
الإصدار الأول ٢٠١٣ ــ ١٤٣٤هـ
إبراهيم جبران
جازان | المملكة العربية السعودية
www.jubran4u.com

إهْداءٌ ..

إلى قَلبِ أمِّي ..

إلى صدرِها الدافئ الذي أنبت في مساربِ الروحِ حُبَّ الأرضِ ، والإنسانِ.

إلى منْ اتَّسع لي وقتُها وحلمُها وقلبُها "أم آلاء".

إلى قلوبٍ في الطرفِ الآخرِ من الروحِ أمدتني بطاقةِ الإبداعِ والعطاءِ ، وزرعتَ في روحيَ الحُبَّ الصَّادِق المُخلصَ النَّقي .

أهدي هذا العملَ المتواضِع .

الفهرس

١	الإهداء	٣
٢	الفهرس	٤
٣	الجَطلا .. وابن جُعْمَة	٥
٤	بن مِجْمِلة	١٢
٥	الحُبُ الذي قتل النّعجة !!	١٥
٦	عَرار بُرْعُمة	٢٠
٧	بائعةَ الدِّجر	٢٥
٨	الجعري والحمار	٣٦
٩	الجمل وحكمة الوبال	٣٨
١٠	غزلية	٤١
١١	المحش الفقيدة	٤٢
١٢	كبش عبْسية	٤٤
١٣	مخبية	٥١
١٤	رفسة عبده امْجِتيم	٥٤
١٥	جَلنط	٥٩
١٦	خيبة	٦٣
١٧	ذهبَ مع الرِّيح	٦١
١٨	صدْمة	٦٥
١٩	دحْمَرة	٦٦
٢٠	كجِّة النفع	٦٧
٢١	خيبة أمل	٦٨
٢٢	حكيم القوز	٦٩

الجّـطْـلا .. وابن جُـغْـمَة

يتناقلُ أهالي القريةً وقُرى الوادي المُجاورة حكاياتٌ لا تُصدقُ عن "عبده جُغْمَة" الذي قضى على نصف "هُوش" الأهالي وأنهى حياة طفلين وعجوز خلال عام واحد فقط ، كما يتناقلون قصة رحيل "مساوية" زوجة "صالح حِنين."

" ابن جُغْمَة" قحمٌ تجاوز الستين، فَقَدَ إحدى ساقيه بعد أن نهشها كلبٌ لجاره البدين "ابن الشَرْقي" .

شُهرتهُ كـ" شَقبٍ " بلغت الآفاق، وتناقلها الرُّكبان وطافت بها ألسنة الحكائين وقاطعي المفازات.

أهالي القرية منهم من استعان بالله على نفسه الشيطانية ووكله أمره ، وضعيف الإيمان منهم تطيّر، وذهب مذهب المتشائمين.

فالعجوز "مِشْنية" علّقت زوجين من الأحذية القديمة على زربةِ نِعاجِها ، و"مسدِّف كُشِاني" ربط "حَمُولهُ" الفتي في "طرُاحةِ" دارهِ وأخذ يُبالغ في تدليله! .

وآخرون تلهج السنتهم بـ " كُوع كاعَكْ رَبِّي صَاعكْ " في كل مرة يُصادفون فيها "ابن جُغْمَة" المنحوس.

توالت ضحايا العجوز المسكون حتى ضاق أهالي القرية ضرعا به وشكوا سوء حالهم لشيخهم الذي لم يترك باباً إلا وطرقه للحد من الخسائر التي تكبدها الأهالي جراء سِهام عينه الشيطانيَّة.

تحكي "مِشْنية" بحرقة مأساة بقرتها الرَّقعاء للشيخ حيث رحلت وهي في أيام حملها الأخيرة و "ابن جُغْمَة" هو من أودعها وجنينها ثرى الزَّبارة ، حيث بادرها ذات صباح وقد بلغت حدها من الحمل بقوله : أووو يا ذي البقرة اليوم .. تِشا مِنْ يجنيها قديها جَانِعَة!!

لم تغرُب شمس ذلك اليوم إلا وبقرة "مِشْنية" وجنينها نهب أنياب السِّباع أسفل زبارة القرية.

و"عيسى امْكِناني" فقد أحد أبنائه حينما أطل برأسه من بين أعواد زربهم بينما "ابن جُغْمَة" مع والده يتباحثان في أمر حِرَاثةِ الأرض حيث بادره بقوله : أَلِكْ أَلِكْ كنتُه ثِروان شيقبِصْ !! ولم ينتصف ليلُ "امْكِناني" إلا وأبواب العزاء مُشْرِعةٌ بابنه الذي أسلم روحه على الفور.

وقصصٌ أخرى سردها الأهالي على مسامع شيخهم الحائر في أمر أقطعهم الشَّقب.

لم يخلُ بيت من بيوتات القرية إلا وللأقطع العجوز فيه ضحيَّة إما نعجة من زِرْبٍ أو عِجل من مَدْرسٍ أو طفل من حُضن والديه، حتى أنه أفقد حمار "صَادِقيَّة" نظره وأكمل حياته كفيفاً لا يعرف مكان زاده.

مرت السنون وتوالى خلالها سقوط ضحايا العجوز الواحد تلو الآخر ما بين مدفونٍ ومُقْعدٍ ومجنون.

حتى اتفق الأهالي على طرده من القرية ، وأبلغوا الشيخ بما أجمعوا عليه من رأي حيث استحسنه هو الآخر.

قضوا بعدها ثلاث ليالٍ يفكرون في خطة يخرجون بها الرِّجل بشكل لائق، فهو صاحب أرض ويمتلكُ معاوِدَ يزرعُها أسفلَ القرية وقد قضى بينهم عُمراً ليس باليسير.

وبينما هم في حيرتهم تلك ووجلهم حملت لهم الدُّروب في صباحات أحد أيامهم من لم يكن في حسبانهم، أقبلت تتهادى على حِمارها القصير الذي بدى ذابلاً ومتهالكاً.

وهي تصيح من بعيد بانتشاء انهكتها الطريق : أووو صَادِقيَّة يا صَادِقيَّة تلقي صاحبتك ترني خَاطِرةْ عليك.

هذه هي "شَامِية امْجَطْلا" ، عجوز لا تقل سوء عن "ابن جُغْمَة" كانت من سُكان القرية قبل أن يخطفها النصيبُ قبل عشرات السَّنين ، ولم تعُد منذُ ذلك الحين ، غير أن الأهالي مازالوا يذكرون حادثة وفاة "شِاطِريَّة" أثناء عودتها من الصَّريب . فقد بادرتها "امْجَطْلا" بسهمٍ من سِهامِ نفسها المسكونة فلم تُكمِل بقيَّة الطريق لمنزلها إلا محمولة على اكتافِ النِّساء.

ازداد قلقلُ القرية وتضاعفَ همُّها وتفاقمت المشكلاتُ بين يدي شيخها.

أمست الأسئلة الوجِلة تجُوبُ أزقّة القرية بحثاً عن سببٍ عودتها وقد خرجت منذ زمن.

الوحيد الذي انتشى لتلك العودة هو عجوز الشؤم "ابن جُغْمة" فـ"شَامِيَة" حُلمه القديم الذي فقده على يد زوجها الراحل.

تتالت الأيامُ بعد عودة "شَامِيَة" و تضاعفت معها خسائرُ القريةِ وازداد قلقُ الشيخِ وطوَّقت الأزمةُ عنقهُ، فقد أصبح في اختبارٍ حقيقيٍ صعبٍ كشيخٍ يتوجبُ عليه الوقوفَ بحزمٍ أمامَ ما يُعكرُ حياةَ جماعتِهِ.

انقلبت حال "ابن جُغْمة" بعد عودة "شَامِيَة" مع أنَّه لم يلتقيها بعد لكنه أخذ يستعدُ لتلكَ اللحظة .

" شَامِيَة" لم يعد في قلبها متسعٌ لحبٍ آخر فقد شاخت عاطفتُها وتمكّن من قلبها القنوط، هذا ما قالتهُ لصديقتها القديمة "صَادِقيَّة".

في إحدى المساءات الرَّطبة استرسلت "صَادِقيَّة" في بوحها الحزين عن حالِ قريتِهم و"شَامِيَة" مُرْهِفةٌ سمعها لحديث المحزونة.

كانت تكتفي بالحوقلةِ و الاستعاذةِ من الشيطانِ الرجيمِ مع نهايةِ كلِ قصةٍ تحكيها "صَادِقيَّة" ، لم تزد على ذلك شيئاً.

جَرَعَتْ فنجان قهوتِها الفاترِ ثم غابت في الظلام دون أن تواسيها بكلمة.

" ابن جُغْمة" انشغل بالقادم الجديد ، وأخذ يتحين الفُرص للقائها وهو في كامل تأنقه على غير عادته إذ يتوقع أن يُصادف "شَامِيَة" في أية لحظة دون سابق إنذار ، وأخذ يحرص كل صباح ومساء على الاتزار بحوكٍ

جديدٍ ابتاعه قبل أيام وتلبيد ما تبقى من شعره الشَّاحب المبيض ببعض الطيب وشميزه المُقلم الذي لا يرتديه إلا في مناسبات القرية الهامة.

"شَامِيَة" لم تكن تُعير "ابن جُغْمة" أي اهتمام فالأيام التي ستقضيها في القرية شارفت على الانتهاء ولديها من الأعمال ما يشغلها عن ذلك القحم "السَّامِج" على حد وصفها.

مع دنو الشمس من مغربها دلفت إلي دارِ الشيخِ كشبحٍ لا تُبينُ معالمه ، تعرضُ عليه شراءَ ما تبقّى لها من قراريط في الوادي حيث رحّب بالفكرةِ ونقدها ما اقترحته من ثمنٍ دون أن يخوضَ في أي تفاصيل بخصوص الصّفقةِ على أن يُكملا كتابة حُجتها لاحقاً.

أكدت "شَامِيَة" قبل مغادرتها مجلس الشيخ نية الرّحيل إلى ديار زوجها المتوفي لتقف على أمر ما ورثته من أراض وبعض "هُوش"

أبدى الشيخ أسفه المُصَطنع على رحيلها وأضمرَ فرحاً بالكاد استطاع أن يُخفيه وتمتم مودعاً وهو يقول في نفسه: الحمد لله أجَتْ منها وما باقي إلا عجوز النَّحس "ابن جُغْمة."

القرية تُطل على الحقول الموشاة بالأخضر وصخبُ الرعاةِ الآيبون بأغنامهم وأبقارهم سمفونية تَطرَبُ لها "شَامِيَة" وتنتشي وقد وقفت هذا المساء كفارسٍ يُلقي نظرتَه الأخيرة على ميدانِ معركتِهِ الرَّابحةِ ، تُقلب ناظريها على الحُقول المُمتدةِ وتُرهف السَّمع لأصواتِ العصافيرِ المُتزاحِمةِ على رؤوسِ الأثلِ وبينَ أحْراشِ الجُرُوفِ حيثُ اختلطَ صَخبُها مع أصواتِ "البَهَمْ" المُنتظر أمهاتِه العائدةِ من مراعيها.

أطلقت تنهيدةً امتدت بشيء من الحُزنِ ثم اغْرورَقَت عينيها الغائرتين بالدَّمع.

لم يقطعْ ذلك الاتصال الرُّوحي مع ذكرياتِ المراعي ومراتِعِ الصِّبا إلا صوتُ "ابن جُغْمة" الذي أقبل مُتنحْنِحاً على حِمارِهِ ذو الرَّحلِ الخشبي.

أطلَّ برأسٍ مُمهدٍ وإزارٍ ملونٍ منتهيٍ بكُـثـلٍ غير مُتشابكةٍ تَشي بحداثةِ شرائهِ وقميصٍ مُقلمٍ تعبقُ منهُ رائحةُ الرَّيحانِ والخَطورِ و"وضِينةٍ" تبدي قدماه المَصبوغة بالحِنّاءِ ، راسماً ابتسامة كشفتُ أسنانه المتآكلة.

صورةٌ لم تعتدهُ "شَامِيَة" عليها فما عرَفَتهُ إلا دَمِيماً بِشَميزٍ مُهْترئٍ وإزارٍ بالكاد يسترُ مؤخرتَه.

ما أن انتبهت لمَقْدمِه حتى مرَّت أمام عينيها مشاهد النّساء اللاتي اشتكين لها نفسه المسكونة بالشياطين.

وتذكرت حديث "صَادِقِيَّة" بكل تفاصيله ، لم ترى في "ابن جُغْمة" في تلك الحظة العاشق المتودد، ووجدتها فرصة لتُكفر عن كل ما اتلفته لأهالي القرية من أنفس وممتلكات في سابقِ عهدِها ، رمقت "ابن جُغْمة" بعينينِ جاحظتينِ وهي تولولُ ثم أردفت قائلة : أووو ماليوم كنَّك قَعادة مِرمِّلة مَغَّروها للعيد!! .. عَسىَ ما خِلاف ؟!

لم تُنه "شَامِيَة" عبارتها تلك حتى جَفل حِمارُ "ابن جُغْمة" كمن رأى شيطاناً ولم يُعر المُمتطي لظهره أي اهتمامٍ وأخذَ يرفِسُ وينهقُ كمفجوعٍ أيقنَ هلاكَ نفسه، والرَّجلُ يحاولُ التشبُّثَ بكلِ قوتهِ لكن دونَ جدوى ليُلقيَ به بعيداً عن ظهرهِ ويغيبُ بينَ دوابِ العائدينَ من الوادي وليسقط "ابن جُغْمة" دون حِراك.

أخذت "شَامِيَة" تولولُ وتستنجدُ بالعابرينَ من الرُّعاةِ و"المَعالِفَة" ليسعفوا المتكور دون حراك.

تجمهر الصِّبيةُ و الرِّجالُ مستطلعين أمرهُ ، ثم حَمَلتهُ الأكتافُ إلى جامعِ القريةِ لينظُر الشيخُ في أمرهِ.

لم تغربْ الشّمسُ إلا وقِصَّةَ سُقوطِ "ابن جُغْمة" من على ظهرِ حمارهِ على كلِ لسانٍ وأنَّ وفاتهُ باتتْ مؤكدةً لأنَّ سُقوطّه كان على مقتلٍ.

قُبيل العشاء نعى إمامُ الجامعِ "ابن جُغْمة" ورغم محاولاتهِ إخفاءَ سَعادتهِ بذلكَ الرَّحيلِ إلا إنَّ طلبهُ سُرعة إتمام مراسمِ الجنازةِ فضحت ذلك الشُّعور.

القريةُ انقسمتْ ما بينَ محتفلين مسرورينَ برحيلهِ وبينَ مَحْزونين لتلك النهاية المؤلمة.

مع فجرِ اليومِ التالي جَمَعت "شَامِيَة" ما تبقى لها من أمتعةٍ وأحكمَت شدَّها على ظهرِ حِمارِها وقبلَ أن ترْحل احتضَنت "صَادِقِيَّة" بحرارةٍ و أجهشتْ بالبكاءِ واستحلفتها أن تَسْتسْمِحَ لها من أهالي القريةِ وأن يغفروا كل ذنوبها في حقهم ، مؤملةً أنْ تكونَ قد كفَّرتها برحيلِ "ابن جُغْمة."

رحلت "شَامِيَة" ورحل "ابن جُغْمة" ولم يَعُد حمارُه الفار ، وعاشت القريةُ في سعادةٍ وهدوءٍ لم تعرفهُ منذُ سنينَ مَضتْ.

بنْ مِجْمِلة

دائماً ما يُحْرِجُ "فرحان بِنْ مِجْمِلة" زوجته "مِحْسنة" بتصرفاته الحمقاء والتي كان آخرها ما حدث عند بئر القرية حينما وردت "مِحْسنة" لجلب الماء ، حيث بادر الحِمارَ بعضَّـةٍ قسمت أذنَهُ اليُسرى إلى نِصفين ، لا لشي إلا لأن ذيلهُ لسعَ وِرك "مِحْسنة" بينما هي تُحكم وثاق جِرارها على ظهره.

لا شيء يُعجب "مِحْسنة" في زوجها إلا غيرته التي تعترف بمبالغتهِ فيها ما يضعها في حرج دائمٍ أمام صديقاتها وأهل القرية.

مرت عشرُ سنواتٍ منذ أن تزوجا حيث أشعلت النبابيتُ مساء الجبل وتوارد يومها ضيوف فرحان من السَّهل والجبل يباركون الفرح .

وتهامس ليلتها بعضُ صديقاتِ "مِحْسنة" عن ذلك العريس وهن يُقهْقِهن حيث اشتهر "فرحان" بين أهالي القرية بِخِفَّة عقلة التي يقابلها قلبه الكبير المحب كما تدعي "مِحْسنة" في محاولة منها لتحسين صورته.

عشرُ سنواتٍ و "فرحان بن مِجْمِلة" و "مِحْسنة" ينتظران أن تُثمر علاقتهما عن طفل يتباهيان به ويُعدانه لعجزهما الذي تحمله السنوات القادمة.

دائماً ما كانت "مِحْسنة" تمازح زوجها وتقول :

إذا جانا ولد أتمنى يكون بطيبة قلبك وبَحَلى أمّه وعقل أخواله ؛ ثم تُردف أمنيتها بضحكةٍ لا يقطعها إلا حَنَقُ فرحان وهو يرد :

يعني عقلي ماله !؟ ماله هاا ماله هبل تِرنِّـي !!!!؟

وفي مساء إحدى الليالي انشق صمتُ القرية عن غطروفٍ أتبِع بطلقاتِ نبوت اهتزت له أسرة النائمين ، ففرحان بن مِجْمِلة رُزق بمولوده الذي انتظره عشر سنين ، الفرح ملأ منزله وفاض على منازل القرية المجاورة ، واشعلت مساءتُها لأسبوع كاملٍ بدوي النبابيت وقرع الطبول ابتهاجاً، غَفر خلالها أهلُ القرية كل حماقات "فرحان" التي كان يرتكبها فهو في سكرة الفرح كما كانوا يقولون.

انقلبت حياة الزوجين رأساً على عقب وتبدل انتظارهما القانط فرحاً وهما يراقبان القادم الصغير يمرح في حضن أمه ،و يكبر كفسيلة .

فرحان منهمك في حقله لا يصرِفُه عنه إلا مغيبُ الشَّمس ، وفي يوم عاد يحمل تعبه وشوقاً عارماً لرؤية وليده .

وهو "يُباسِطُ" "مِحْسنة" التي تكور الصغير على صدرها المُترع حليباً ودفءً لمح ثُلةً من الذُّبابِ تحوم على صدرِ زوجتهِ المكشوف، تحُط تارةً وتطير تارةً أخرى و"مِحْسنة" تَهُشّهُ تارةً وتتركهُ تارةُ أخرى يستبيحُ المساحاتِ المكشوفةِ من صدرِها.

انتفض فرحان من مجلسه "مُبجِجراً" مُحمرَّ العينين وانتصب غاضباً وهو يتمتم :

والله لأوريك يا اللي ما تستحي! ما لقيت إلا صدر"مِحْسنة" تِلْوي عليه !؟

قِرْ لي لو أنت رُجُل !.

ثم غابَ للحظةٍ وعادَ ثائرَ الدَّمِ مُمْتشقاً نبوتَه وانتصبَ كفارسٍ نالَ من خصْمهِ مقتلاً وصوَّب نحوِ الذباب المُخيِّمِ على صدرِ غاليتهِ المُنشغلة بإرضاعِ صَغيرها مُطلقا رصاصتين خطَفت رُوحَ "مِحْسنة"ووليدها ، وفرَّ الذبابُ دونَ أن يمسّهُ أذى.

انتَصَبَ بعدها شامخاً كمنتصرٍ رافعاً رأسهُ وهو يُكرر بِحمقٍ غير مسبوقٍ وعيدَهُ للذبابِ الفارِ : هذي المرة سِلِمتْ والمرَّة الثانية والله لأثوِّر كل مَعَابِري فيك.

حُمقُ فرحان خلفه وحيداً وغدى قِصةَ على ألسنةِ أهالي القريةِ والقُرى المجاورةِ يتندرُ بها السّمار في مساءاتهم ويتناقلُها الحَكاوتيّة ويقطعُ بها المُسافِرونَ المفازات.

الحُبُ الذي قتل النَّعجة!!

لم يمض على وصولهِ إلى زربتهِ الجديدةِ سوى أسبوع لكنَّه أسَرَ لبّها وهامت بهِ عشقاً، فهو خِلافُ بقيةِ الفُرَّانِ والكِباشَةِ التي تعيشُ في زَرْبتها الواقعة يماني عُشّةِ مالكها العجوز.

عُيُونُه الكحْلاء وقوائمُه النِّصفَ مصبوغةٍ بالأسودِ وسُبلتهُ المتدلية ذات الشَّحمِ الوافرِ وافقت قلباً خالياً فأوقعته صَريعاً.

لم يُعرها أي اهتمامٍ في بادئ الأمرِ إذْ لم تكن بذلكَ الجمالِ الذي يُمكن أن يُلفت انتباه كبشٍ مثلهِ قادم من حقولِ بيشٍ المترعة بالخضارِ والنِّعاج الرُّقمِ الحِسان.

كان ينشغلُ طوال يومهِ بأكل ما يُطْرَحُ له من الحَبِّ والشعير وكِسرِ الخبز ، وهي تُراقبهُ بصمتٍ وتطلقُ تنهداتها الحارة .

في الأسبوعِ الثاني لاحظَ اهتمامها الذي لفتَ انتباهَ بقية فُرّانِ ونِعاجِ الزَّربةِ حتى أنَّه أصبحَ يشعرُ ببعضِ الحرجِ من تعليقاتِ رفاقهِ الجُدد.

لم تُمهلهُ كثيراً ولم تحتمِل حالةَ الصَّمت التي تسحُقها حيثُ صارحتهُ ذاتَ مرعى عن ولهِها وأنهُ أسرُ فؤادها الذي لم يَعرف الرَّاحةَ مُذْ دَلفَ بابَ مَدْرسِهم ، واستطردت في وصفِ مشاعرِها تجاههُ وكيفَ أنَّه شّغل تفكيرها، وشغفها حُباً.

وهي تحكي ما يختلجُ في لواعج روحها تُجاه الأكحلِ الصَّامتِ تأملَ عينيها المسكونة بالهيامِ، لمحَ فيهما أنثى لمْ يكتشفْها إلاّ اللحْظة ، وتذكر أنها القلبَ الوحيد الذي ظل يُخففُ غُربتهُ عن حقولِ بيشٍ ورفاقَه السَّابقين.

لم يُمهِلهم العجوز كثيراً لاستكمال حوارهم اللاهب إذ التفَّ حولهما بِحمُولهِ الأدهم وساقهما باتجاه البيت.

اللقاءُ الأخير تحت ظل الأثلةِ العتيقةِ أوقدَ في قلبه فتيل الحُبِ وبدأ يهتم بلقاءِ نعجتهِ المغرمَةِ، ويتحينُ لحظاتِ خلوتها تحتَ الأثلةِ في كلِّ مرةٍ يخرجون فيها للمرعى ، حتى أصبحت الشجرةُ شاهداً على ولهِهما والمكانُ الذي يجدان فيه ما يغمُر قلبيهما بالبهجةِ وما يطفئ لهيبَ الاشتياقِ .

ومرت الأيامُ تلو الأخرى حتى استشرى الحبُ في قلبي الحبيبينِ وأصبحت قصّة غرامِهما على ألسنة الفُرَّانِ ونعاجِ الحي بأكمله وأخذت كباشةُ الزَّرائب المجاورة تتناقل قصةَ حبِ الأكحلِ البيشي ونعجةِ العجوز.

ذات مساء والبدرُ مكتملٌ في عليائهِ وحوله النجومُ رَصَّعت الأفقَ وهما يتأملان احتفاء السَّماء بهما كعاشقين، تنهدت ثم سألته: تُحبني كما أحبكَ؟

أردفَ هو الأخرُ بتنهيدةٍ وقال : عَبُلتين وعَبلة والله أني حتى امأذان!

ثم ضحك الاثنان وأكملا أمسيتهُما التي انتهت بهما نائمين ملتفين في أحضان بعضهما.

فجأة فزِع كلُ من في الزَّريبةِ وقامَ العاشقانِ على جَلبةِ الفُرانِ وهلعِ النعاجِ، وذعَّرة الرِّيمان .

اليوم هو عيدُ أضحى العَجوز الذي أقبلَ منتشياً فقد (جَاكرَ) أصدقاءَهُ على أن عِيدَتَهُ الأكبرَ والأسمنَ والأثمنَ .

وهو "حازبٌ" شَفرته المفتوقة بعنايةٍ توجه نحو الأكحل المشدُوه الذي لم يعي من تلك الجَلبةِ شيئاً ولم يُدرك النهاية التي تنتظره في صباحه هذا ، في حين أيقنت العاشقة هلاك كبشها فأخذت تُشتِّت انتباه الرجل كي لا يصل إلى حبيبها ويقتاده نحو قَدَرِهِ المحتوم ، تُصارع من أجل حمايتهِ وهو يحاولُ الاختباء دونَ فائدةٍ وهي تُذعر وتجري دون هُدى وفي صدرِها اضطرمت نارٌ لا تُحتمل ، تقفزُ يمنةً ويسرة وتُقَلعبُ (تَنكَ) الماءِ وأحواضَ الشَّعيرِ دون فائدةٍ ، فعشيقها في قبضةِ يدِ العجوزِ السَّعيد.

فُجعت وضاقت الدنيا في عينيها وتغشتها حالةٌ من الهلع فحبيبُها الذي ملأ قلبها الخالي سيرحلُ إلى السَّماءِ ويتركها نهبَ عيونِ فُرانِ الزَّربةِ وقصة لا تنتهي على ألسنةِ النعاجِ ومثارَ شفقةٍ لا تقبلها.

تصيحُ وتصيحُ حتى غاب غاليها عن نظرها وازدادت هيجاناً وحزناً ثم هدأت للحظةٍ وتأملت المُشْفقينَ من حولِها وقالت بصوتٍ مشروخٍ : لا حياةَ لي بعد هذا اليوم ، سأسبقه إلى السّماء سأكون أول مستقبلينَ لروحِهِ ، ثم انطلقت كفرسٍ جموحٍ وقفزت من على شبك زربهم وانطلقت تعدو كالريح حتى استقرت بها قوائمُها تحت شجرةِ الأثلِ التي وثَّقت تاريخَ عشقها، وكانت مسرح لقاءاتهم العاصفة .

التقمت حبلَ أرجوحةٍ لصغارِ القرية كان مُدلى بِعِذْفٍ من أعْدافِ الشَّجرة وأخذت تلف نفسها وهي (تُذَعِّر) : السّماء السّماء !! حتى أحكم الحبلُ قبضتهُ على عُنقها واتجهت عيناها إلى السّماء وشريطٌ مادته الحُزن مر أمامها في عجلٍ ثم ارتسمت ابتسامةُ على شفتيها وجحضت عيناها وصمت العالم من حولها وأظلم.

الأكحلُ المفجوع استسلمَ لقدرهِ وأيقنَ رحيله وأشفقَ على رفيقتِهِ التي تركها خلفهُ تُقاسي الفقد .

قبل أن يتله العجوز للجبين أخذ يتفحص جسده المُترع باللحم والشحم كآخرِ نظرةِ اطمئنان لسلامة كبش عيده ، مرَّر يدهُ على بطنه ثم ظهره ثم رقبته المكتنزة حتى استوقفه بروزٌ أثار استياءه .

حوقلَ العجوزُ واستغفرَ ربه واستعاذ من الشيطان فقد تيقن عيباً في رقبة الجامد المُستسلم شعر معه بالحزن واوعز إلى مرافقه بإعادة الكبش إلى رِفاقه المفجوعين في الزَّربة، فـ"الخُراجة" التي اكتشفها في رقبة كبشه أفسدت صحة أضحيته .

شعر أنه وُلد من جديد ولم يفكر إلا فيمن تقتُلها الفاجعة، وود لو يفلت من يد مُمسكهِ ليُسابق الريح إلى مخدع غاليته .

دخل فأذهله وجومَ الرابضينَ وأخذَ يُفتشُ عن نصفهِ الأخرَ بينَ نِعاجَ الزَّرْبةَ .. لا وجودَ لها وقفَ للحظةٍ والصَّمتُ هو سيدُ الموقفِ، بادرهُ كبشٌ عجوزٌ بقولهِ : لقد آثرت أن تكونَ أوَّلَ المستقبلينَ لك في السَّماء، لقد انطلقت جهةَ المرعى ، لم تشأ أن ترحلَ وحيداً .. لقد أحبتك بجنون ، ورحلت بجنون.

صُعقَ الأكْحل البيشي. وطارت به قدماه إلى أثلتِهم ليجدَ نِصفهُ الآخر جسداً مُسجى بعينين جاحظتين منطلقتين إلى السَّماء.

وابتسامة لم تزل دافئة مُرتسمةٌ على وجهها الصّغير .

تسمَّر في مكانهِ لبُرهة يتأملُ وجه الرَّاحلة ثم انفجرَ باكياً وأخذ ينطحُ جِذعَ الشَّجرة السَّامِقة وكأنه يتوسّل لها أن تأخذَهُ إلى السَّماء .

استمرَ في النَّطحِ دونَ توقفٍ حتى اصطبغَ الجذعُ باللونِ الأحمرِ وخرَّ الأكحلُ صريعاً بالقربِ من حبيبتهِ الراحلة وعيناهُ مشرئبةٌ إلى السّماءِ .

بكتْ نعاجُ الزَّربةِ الراحلَين وبكى العجوزُ وبكتْ الشَّجرةُ وبكى الحبلُ وحَشَّ العجوز كبشاً آخراً.

عَرار بُرْعُمة

ظل اثني عشر عاماً مُشْرِعاً كفيّه الضامرتين نحو السّماء ، لم يرتو خلالها إلا صدرهُ العاري من دموع تضرُّعاته .

يرقبُ الشرق علَّ (قَليصاً) يُبدِّل زُرقة السّماء بياضا يُضيئُ سواد قُنوطِه ، أو رحمةً تنزل في قلبِ القائمين على أمر المارد الاسمنتي الذي حبس الماء عن عروق حُقولهم المُجدِبة بوادي بيش!!.

الأرضُ لهُ ككبده العتيق، لا يستقيمُ له نهارٌ إلا إذا خَط بقدميه العاريتين أديمها الشَّاحب.

منذ سنوات وهو ينتظرُ الرياح أن تسوقَ له قطراً.

المارد الاسمنتي يحبسُ عن معشوقته ما يعيد نظارتها والبهجة إلى قلبه.

كلُ صباحٍ ومع أول رفَّةٍ لجناح طير يَمخُرُ (عَقْمهُ) الذي علَّق به أحلامَه وأمنياتَه بعد أن أرسلها إلى السَّماء، و لا شيء سوي الجَدب!!

ذات نهارٍ صَعقَ (بوالشٍ) وعينياهُ مشرئبتانِ نحو الأفق الشّرقي؛ فكتائبٌ بِيضٌ تُعارِكُ أخرى بدت مُسودّة، في تناحُرِها حياةٌ لذلك (القَحْم) المُنتظر منذ زمن .

أخيراً استجابت السّماءُ لتوسلاته وبدأت تغسلُ الأرض بقطْرها وهو يتمايل ويصفق بكفيه فرحاً منشداً :

يا مطر تعاله
سيّل امجفالة
يا مطر تعاله
سيّل امْجُفالة

يُرددها بانتشاءة غير مسبوقة اتبعها برحلة روحية اخترقت الحُجب إلى السّماء حيث المُنعم لاهجاً بشكرهِ لله تعالى وقطرُ عينيه مختلطٌ بقطر السَّماء المُنهمر.

في الصّباح حمل (مَسْحته) وباغت العصافير في اكنانها وانتصب على عقمه؛ فالسيلُ أروى حقولَ جارهِ "عبده شتيف" و "حسن ابر علي" ، وهو المنتظر الأخير، تعتمل في داخله اللهفة وشوقٌ عارمٌ يعصفُ بمشاعره جعله طوال فترة انتظاره يتراقص على زبيره كالمجنون وهو ينشد :

سيّل امجفالة
سيّل امجفالة

ويلوح (بجُنبيتِه) التي اسْتلَّها من (حِزْبه) راقصاً.

وماهي إلا لحظات حتى حملت له الرياح رائحة المقادم العزيز المختلط بالطين، وكأنه اشتم رائحة الجنة ، عبّ منه وملأ رئتيه شهيقاً يتبعه آخر وهو في نشوة لم تَسكُن صدره منذ اثنتي عشر عاماً من القحط .

هرول كمن يستقبل مفقوداً عاد بعد طول انتظار ووجل ، وهم باحتضانه.

وهو يتغلغلُ في مَسارِب أرضهِ المُجدبة شعر به يتغلغلُ في عروقِ جسده ، باثاً فيها الحياة من جديد ، وهو يهلل ويكبر تارة وينشد تارة أخرى ويولش بنشوة تارة ثالثة.

مشاهد متتالية مختلطة ما بين فرح وجنون لم ينهيها إلا هديرٌ قادمٌ من خلف عقمه الترابي والذي لم يجهد في معرفة صاحبه.. أسرع معتلياً العقمَ الذي اصطفت خلفه معدتين بدا لونها الأصفر مثيراً لاشمئزازه ،يقف خلفها عددٌ من الغرباء بدوا له كقابضي الأرواح ، أدرك حينها أن أمراً لا يسر لا محالة واقع.

انتصب العجوز على عَقْمه وقد جَفَلت منه الفرحةُ وحلّ في تلافيف صدره الغيض والغضب وبدأ الدمُ يثور في عروقه الضامرة ، وبادرهم قائلاً : خير إن شاء الله !!

وإلا الرَّازق في السّماء والحاسد في الأرض!!

أقول صابوا صابا الله عليكم .!

بدأ بعض رجالات القرية وصبيانها بالتوافد على ساحة المواجهة ، يراقبون الحدث بطرفيه الغير متكافئين ، فمعدات مدججة بالسلطة والنفوذ، في مواجهة جسدٍ تسعيني نحيل لم يسكنه إلا حلم لم يتحقق منذ اثنتي عشر عاماً، حلمٌ سيقدمُ روحه قُرباناً من أجل تحقيقه.

لم تَهُزَّ عزيمته جحافل العساكر ولا أزيز معداتهم ولا توعد قائدهم بالعقاب.

وما تشون ؟؟

بادرهم بسؤاله التهكمي غاضباً !

اثنعشر سنة وبلادي جَحْر ، حَرمْتُنَّا خير ربي وحَدِّيتُنه بسدكم الله يسد حَلوقكم ، لا رحمتم ولا خليتم رحمة ربي تنزل .!

وذلحين اللي في راس أمّه رَجَالة يتقرّب بِفْجِر امعقم !

بدأت صيحاتُ الحاضرينَ تتعالى والطرفان كلٌ يتحفّز لمباغتةِ الآخر ، وقائدي المعدات الهادرة يقتربون تارة ويبتعدون تارة أخرى وقائدهم الذي فقد حكمتهُ يتهدد ويتوعد ويستثير غضب العجوز الثائر.

صاح مرة أخرى في وجه المتحفزين لقطع وريده : تقرّب إذا أنت صادق عيال عبد العزيز قالوا لك احرم الناس من الخير .. تقرَّب .

قالها وهو يستلُ (جُنبيته) الحادّة من (حِزْبه) ويُشهرها متوعدا بجزِّ رأس من يحاول الاقتراب من عقمه .

ثم عاد يحكي قصة حُزنه القديم وحزن كل رفاقه الذين أجدبت حقولهم منذ أن اعترضوا مجرى سيلهم بماردهم الإسمنتي.

اغرورغت عيناه بالدمع وهو يشتكي العذابات التي انحلت جسده المتآكل ، والجدب الذي أحال كل أراضي قريته والقرى المجاورة شحوباً محزناً وعشرات البيوت التي تبيت تحكي حرمانها خير السّماء.

لم تحرك تلك الصور المحزنة في ضمير قائد العسكر شيئاً بل زادت من قسوة قلبه ، وفي الطرف الآخر وقف العجوز الغاضب أمام خياره الوحيد وهو أن يجتز رأس من يحاول المساس بأرضه العرض.

احتدمت المواجهة ولم تفلح محاولات الحاضرين في رد العجوز الذي امتطى صهوة غضبه وانطلق نحو هدفهِ حيث بادرهُ بضربةٍ من جنبيته التي لمعت في السّماء قبل أن يهوي على هامة الخصم.

حينها صمت المكانُ بمن فيه ، واحمر رداء قائد العسكر من دمه الذي أراقته حدة الجنبية وغضب العجوز.

المفاجأة شلّت الحاضرين لبرهة، بعدها سارع البعض للحيلولة دون المزيد من الخسائر.

أحكمت بعدها يدُ السُّلطة قبضتها على عنق العجوز الذي بدت انتشاءتهُ على تجاعيد وجهه واقتيدَ وهو ينظرُ للمتحملقين الواجمين خلفه مبتسماً وهو يقول : أما ذَلْحين بِفْجِرون عيني ما دام زَهْبي قِدْ رِوِي وغُشِّي برد !.

بائعةُ الدِّجر

ورثت "حالية" عن زوجها "سِعِيد زِرَّة " الذي مات مجدوراً؛ نصف معاد وقيراطين وربع الثُّمن من قيراط على حافة الوادي الذي لا ينقطع غَيله، تحيط بها أراضي الشيخ "مهدي معَكْرِش" من جهاتها الثلاث المتبقية .

ومنذ رحيل رَجل تلك الرِّداح الخَصِيبة وشيخ القرية "ابن معَكْرِش" يحوم عليها كـ" خُزي" على حد وصف حالية المتوجسة خيفةً منه .

حيثُ يحاول بشتى الطرق ضمها إلى أطيانه لكن "حالية" عاهدت فقيدها أن تذود عنها لو كلفها ذلك روحها، ففيها قوتها وقوت طفليها اليتيمين .

منذ أن رحل "ابن زِرَّة " زوج "حالية" وهي تحمل عبء طفلين وهم أطماع شيخ القرية الذي اعتاد نهب قراريط أرامل ويتامى رعيته وضمها إلى أملاكه بطرق ماكرة وحيلٍ مُحكمة دون أن يَرِفَّ له جفنُ مَخَافةٍ مستغلاً نفوذه الواسع.

اشتهرت "حالية" في قريتها وبعض القرى القريبة ببيع الدِّجر الذي لا تجود زراعته في غير "زَهنْبها" على امتداد الوادي وعزَّزت خبرتها في إدارة شؤون الزَّهب من جودة محصولها الذي يتوافد على شرائه الرجال والنساء من كل مكان، حتى أصبح " دِجر حالية " مضربَ المثلِ ، فهي تعرف مواعيد زراعته وجنيه وكيف تختارُ أجوده وأنضَّجه للبيع، بينما تُخزّن الباقي كبذورٍ للمواسم التالية، كما أنها تهتم باقتلاع النباتات التي تضر بأصول الدِّجر وتزاحمه على موارد مائه ناهيك عن اجتذابها لكثير من الحشرات واليرقات الضَّارة خُصُوصا "العُسَال" الذي عادة ما يُتلِف كثير من حقول الدّجر المجاورة.

وقف الشيخ على زبير زَهب "حالية" ممتطياً ظهر حماره المصري الفتي يرافقه أحد عبيده، وقد دنت الشمس نحو المغيب وبدأت "الحنَادي" تأوب نحو أعشاشها في غابات السدر وأحراش الأثل ، و"حالية" تهمُ بربط "مِصْرابِها" الممتلئ دِجراً على أحد جانبي رحل حمارها الصغير وقد شدت على جانبه الآخر شاطرتها النصف ممتلئة وهبشتين من الأيبد والأفليق وبعض البُجيرا.

لم يُسلِّم الشيخ "مهدي" واكتفى بقوله : ألا روحي أنت يا ذا الدِّجر، ثم أردف "هرْجته" بضحكة خافته وشَتْ بمكرٍ يُضمره.

لم تُعِره "حالية" أي اهتمام وأكملت شد متاعها في تجاهلٍ تام ثم غابت بين أشجار الرِّينِ والحَصَارِ النابت على ضفتي الوادي نحو بيتها.

مرت الأيام والشهور والحالُ ما بينَ شيخٍ يتحينُ الفرصَ لأخذ زَهْبِ الأرملة، وامرأةٍ تُقاوِمُ جبروت المُصِّر على جُرْمه حمايةً لمالِ أبنائها ووفاء لزوجها الراحل.

لم يدع الشيخ حيلة إلا واستعان بها لكنه لم يُفلح محاولاً بالمال والجاه تارة و بالترهيب والمضايقة تارةً أخرى، لكنه يفشل دائماً أمام حكمة الأرملة وقوة عزيمتها.

حتى أنه اعترف ذات مساء برأس "حالية" اليابس على "حُمَّدْ شامي" وهو من الرجال الذين يستعين بهم كشاهد زور في عمليات استيلائه على الأراضي التي يطمع فيها.

كل من سلب أرضهم من بسطاء القرية كانوا يُراهِنونَ على سقوط "حالية" أمام جبروت الشيخ ومكره وقلة منهم كانوا يشدون من أزرها.

لم يكن أحد يجرؤ على إعلان سخطه من الشيخ والاعتراف بلصوصيته جهراً إلا "عبده قِشْرَة" هَبَل "المزاقِر" كما يصفه الأهالي ، فهو رجلٌ فقد عقله بعد أن ماتت زوجته غرقاً أمام ناظريه حيث جرفها السيل الكبير قبل سنوات أذهب بعدها حزنه الشديد ووحدته عقله بعد عام من رحيلها.

كان يطوفُ الأزقة كل صباح في "حَوْكٍ" مهترئ و "شَميزٍ" بِكمٍّ واحد يكشفُ شعر صدره المَجعّد وهو يصيح على المارة " انزهموا امنباش لا يتحلا بكم .. انزهموا ..انزهمواا " قاصداً شيخ القرية، يكررها على كل من يقابله يطلق بعدها ساقيه للريح وهو يضحك بشكل هستيري .

حتى أن الشيخ ذات مرة اوعز إلى أحد عبيده بأن يشبعه ضرباً حينما صادفه وحيداً بالقرب من "زاوية مزاويمه" على أطراف القرية.

"حالية" تزداد قوة وتمسكاً بأرضها يوماً بعد يوم، والشيخُ يزداد حقداً وإصراراً على ضم أرض الأرملة يوماً بعد يوم.

استمرت الحرب الباردة بين الطرفين لسنوات أيقنت "حالية" خلالها بشراسة الشيخ وتأكد لها خُبث نفسه وأنه لن يتوانى في استخدام أي حيلة للحصول على مبتغاه، وقل حولها المؤازرون وبدأت الحاجة تأكل أطراف عزيمتها وجوع أطفالها يقض مضجعها فمنذ عام ونص لم يخضرَّ الوادي ولم تغسل السماء جبين الأرض ، وأضحت الزهوب جَحْراً تعوي الريح فيها.

لم تمر على الوادي سنين قحط كهذه، الموسرين فقط من وجهاء القرية لم تتفاقم حاجتهم ولم يلوكهم العوز لما يدخرونه من محاصيل في عجارها.

أما البسطاء ممن لا يملكون إلا قوت يومهم فقد أهلك صبرهم الجوع ، وباع بعضهم من أطيانه للشيخ ومن دوابه للموسرين المتنفذين.

وحالية صامدة أمام بطش الفاقة ومحاولات الشيخ استغلال حاجتها المتنامية كل يوم، تعرف جيداً أنه سيستغل هذا الجدب وحاجة الجياع لكنها تفضل الموت على ان تمنحه فرحة انتصار ينتظرها.

"عبده قِشْرة" هو الآخر لم يرحمه العوز إذ لم يجد من هبات أهالي القرية شيئاً فهم أحوج منه لما كانوا به يتصدقون.

اضطرته الحاجة إلى ملازمة مجلس الشيخ مقتاتاً على فتات موائده رغم ما يحمله في صدره من غل فقد أخذ ما ورثه عن زوجته الراحلة دون

وجه حق وبرغم عته "ابن قشرة" إلا أن جراحه مازالت تؤلم روحه الحية.

تتالت الأيام وبالغ الجوع في قسوته حتى أن عدداً من أبقار الأهالي ونعاجهم أضحت زاداً لسباع الوادي بعد أن أهلكها الجوع، وعدداً من البيوتات قصدوا الجبال "منجعين" عل قوتاً ينتظرهم .

تتعالى القهقهات في مجلس الشيخ الذي لم يشارك رعيته فاجعتهم بل شكلت تلك المصيبة أعظم مرابحه التي لم تكتمل بعد فحتى الآن لم يضفر بزهب "حالية" .

وأمام قسوة القدر وسطوة الابتلاء وضغوط الشيخ ومضايقات رجاله اتجهت "حالية" في جوف ليلها إلى الله، رفعت أكف الرهبة والرجاء إلى رب العباد المنهكين في أرضه، شقت دعواتها كبد السماء نحو من لا يرد الطالبين : اللهم إنا عبيدك لا حول لنا ولا قوة ، أهلك القحط الحرث والنسل ، وبتنا إلى القنوط أقرب فلا تكلنا إلى أنفسنا وأعمالنا وأنت أرحم الراحمين، اللهم لا تُمكن لظالم علي رقاب عبيدك الجائعين ولا تُسخر له من يعينه على الباطل واكفنا شر جاهه وماله.

اللهم إنه قد طغى ومنع الناس أرزاقها فلا تقم له بعد اليوم قائمة .

اللهم ارسل علينا كتائب رحمتك مطراً يحيي آمال القانطين اللهم ارسل السماء مدراراً فنحن عبيدك الضعفاء .

اتحدت روح "حالية" بخالقها وسرت في هزيع الليل تعترش السماء ودموعها تفيض انكساراً وخوفاً ورجاء.

لتتهاوى قوى جسدها النحيل وتغيب عن وعيها ويعود الليل إلى صمته الكئيب إلا من قرقعة البطون الجائعة.

في الصباح أفاقت القرية على "والش" العجوز "علي طيران" الذي شق صمت الوادي ففي الأفق تباشير خير ، وكتائب "قليص" تعدو من بعيد تلون السماء ببياضها المختلط بقتامة .

خرج الرجال من عُشَشهم و "صُبولهم" جُرداً إلا من حِيكَةٍ بالية، والنساء خرجن كاشفات الرؤوس ومنً خلفهن أطفالهن عراةً غرلاً .

انتزعهم الفرح من سكونهم وقذف بهم في ساحات البيوت ينظرون في أمر "والش" "طيران"، فما عرفوه الا صادقاً يحمل "والشهُ" بشارات الخير .

السماء كساحة حرب يتعالى مثار نقع خيولها، امتزجت رعودها بوالش "طيران" المتكرر الذي اختلط هو الآخر بنحيب العجوز ودموع فرحه.

القرية في عرس، لم يبق حي لم يخرج إلى فضائها، ولم تردعهم عجاجة الشرق المقبلة بسوادها الذي سد الأفق وأحال ضياء نهارها ليلا حالك الظلام.

البروق تضيئ العتمة والرعود تهز الأرض هزاً، وكأنهم لأول مرة يستقبلون خير السماء . فاضت الأزقة وسالت نحو الوادي الذي امتلأت رداحه غير أنه مازال ينتظر النازل من قمم الجبال .

الأطفال من "حُقلةٍ" لأخرى يتسابقون والرجال بِمِساحِهم يشُقون في "القبُلان" مسارب نحو الأزقة.

"طيران" أكد للسائلين أن سيلاً لا قبل لهم به سيداهم الحقول وأن لاعقما سيقف في طريقه اليوم وسيحمل معه جذوع الدوم وحيات الجبال والقرود النافقة.

استعد رجال القرية بمساحهم و فؤوسهم وانتشروا على زُبر الوادي.

تأكيدات "طيران" طمأنت حالية على "زهبها" فالسيل الكبير الذي ينتظره الوادي سيعم كل الرداح، وستفيض "الزهوب" بإذن الله.

الشيخ أوعز لعَبدهِ تجهيز حماره المصري وأرسل يطلب المِساحَ والفؤوس وانطلق مصطحباً خمسة من أقوى عبيده يرافقه "حُمّدْ شامِي"، خرج يحمل شيئا من الشر تجاه حالية وزهبها، فهي فرصته كما أسر بذلك "لابن الشامي" .

امتلأ الوادي بالمنتظرين المتحفزين للقادم الكبير، و"حالية" مع صغيريها و عدد من النسوة يراقبن من بعيد المشهد المهيب.

و"ابن قِشْرة" يتنقل من زبير إلى آخر وهو يردد:

نباش أقبل من بعيد
يمشي برجاله وامعبيد

يقصد الشيخ ومرافقيه.

تعالت صيحات الرجال متناقلين خبر السيل الهادر الذي نسف عقم "الجُحْدِري" ، وساوى زُبر بلاده بالأرض ، وهو في طريقه إلى رداحهم.

قليلة هي الزبر التي صمدت في وجه السيل المندفع.

غير أن الشيخ ما فتئ يطمئن مرافقيه أن "عقمه" سيروض السيل الهادر.

وهو ومن معه يراقبون كيف أن السيل يبتلع كل ما في طريقه، واقفين بزهو فوق "عقمهم" الشاهق الذي تقع خلفه بعض رداح لأهالي القرية ، وقد أمر عبيده بألا يفجرون العقم ويقفون سدا في وجه أي محاولة لذلك.

"حالية" تراقب من بعيد والسيل كأفعى عملاقة تتسلل من زَهبٍ إلى آخر مبتلعة كل ما يصادفها من حِرَاجٍ و عُقُوم .

"ابن قِشْرة" يصيح بالواقفين على عقم الشيخ أن اهربوا قبل أن يبتلعكم السيل.

انسحب الرجال من حقولهم التي طمرتها المياه واكتفوا بالمراقبة فقط ، فهذا السيل خلاف ما عهدوه من سيول.

الشيخ سلم حماره إلى أحد العبيد وأمره بإعادته إلي البيت بأسرع وقت واصطحب "ابن الشامي" واثنين من مرافقيه وأمر الباقي بحراسة العقم .

أخذ يطمئن على عقمه، يسُدُّ "خَبَارَةً" هنا وأخرى هناك ، ويُعزز دفاعاته والسيل يزداد وتتضاعف قوته، لانقضاضة تفتت ذلك العقم الذي بدى للراي قويا وللشيخ أقوى دفاعات الوادي.

أدرك الرجال أن لا أمان لهم وأن عليهم الانسحاب إلى مرتفع يعصمهم من الماء، برغم تأكيدات الشيخ أن لا ضرر سيمسهم فعقمه أقوى من أي سيل وأنه "سيفجر" له بعد أن يتم سُقيا أطيانه الممتدة .

"حُمَّدْ شَامي" يؤكد له أن كل "رداحه" قد طمرها السيل وأن عليه تركه يكمل طريقه إلى بقية "رداح" الأهالي لكن نية مَكرٍ يُضمرها الشيخ تحول دون الاقتناع بتحذيرات المرافقين .

ابيض الوادي وأيقن الرجال الهلاك فانسحبوا الا الشيخ ومرافقيه المغلوب على أمرهم .

السيلُ أطبق والسَّماءُ في الشَّرق تُعزز جيشها بمزيد من الجنود الغاضبة لم تبق في طريقها عقما ولا عرجاً ولا أثلاً إلا اجتثته .

"طيران" من بعيد يُحذر من تبقى في الوادي من الرجال أن السيل اليوم مُطُبق ولا نجاة لحي يعترض طريق جحافله.

ثقة الشيخ بعقمه لم تُقنع "حُمَّدْ شَامي" ومن تبقى من العبيد، فانسحبوا خِلسة تاركين شيخهم في غمرة الانشغال بِخَبَارة خَشي أن تُطيح بعقمه.

"طيران" يصيح وقد أيقن بفاجعة ستخرج من جوف هذا السيل .

الشيخ ما أن يسد خَبَارة حتى تولد أخرى وهو يصيح أن "أربعوا" العقم من الجهة السفلى، ولا أحد يسمع فيلبي.

اكتملت تعزيزات الهادر والتهم آخر التحصينات بقائدها الواهم الذي غاب عن أنظار المصطفين على طرف الوادي وصاح صائح أن ادركوا الشيخ فقد ابتلعه السيل .

حبس المشهد الرجال في مكانهم وتعالى " صَعِيق" النِّساء وبكاء الأطفال و"حالية" تُراقب بصمت محتضنة طفليها وتقلب طرفها ما بين السَّماء وجندها على الأرض، متمتمة بالشّهادة تارة ومحوقلة أخرى .

خيم الحزن على بيوت القرية وتناقل ساكنيها قصة رحيل شيخهم منقسمين ما بين حزين لرحيله وبين سعيد، و قبل الغروب عاد الرجال يحملون على اكتافهم الشيخ الراحل الذي أجْهِد الباحثون عنه حتى عثروا على جثمانه في "زهبٍ" يعود لرجل من القرية المجاورة.

امتدح البعض شجاعة الشيخ والبعض الآخر يقول بأن الله أمهل ولم يُهمل.

حالية بائعة الدِّجر مؤمنة بعدل السَّماء وأن للهِ في كُل حَدَثٍ حكمة.

" ابن قِشْرة" الهبل امتطى صهوة عصاته وانطلق يهُز الأزقة بصياحه ناعياً الشيخ مردداً :

امسيل شل شيخنا
وشيخنا قد شلنا
امسيل شل شيخنا
وشيخنا قد شلنا

الحقول بعد سيلها اخضرت كما لم تخضر من قبل وتوافد "المنجِّعون" من كل صوب على وادي القرية و"زهب" حالية فاض دِجْرُهُ وبلغ صيتها الآفاق.

"حُمَّدْ شَامي" اعترف لإمام جامع القرية بما شهد به للشيخ الراحل زوراً وعاهده على أن يسعى لإعادة ما شهد به لأهله .

توالت السنوات والقرية تنعم بعيشها الرغيد.

اليتيمين بلغا مبلغ الرجال واشتد عودهما، وأصبحا ممن يشاد ويُشتد بهم .

ودبَّ العجزُ في أطرافِ "حالية" الأم، واعتلى جسدها الوهنُ وهد قواها الوجع ، حتى رحلت تاركةً اليقين بعدالة السَّماء في نفوس أهالي القرية، وشابين امتطيا عزيمة الرجال لإكمال رحلتهما بإيمان مطلق زرعته أمهما في صدورهما أن الله يمهل ولا يهمل.

الجُعْـري و الحِمار

"الجُعْري" و "الحِمار" حيوانان لا يجتمعان البتة بتاتاً ولا يستسيغ أحدهما الآخر ، وفي يوم من الأيام كان هناك حمارٌ يعشق السَّهر وحياة المجون ومُخاتلة صاحبه ، حيث يسري آخر الليالي المقمرة يغازل حمير الجيران ويتسكع في أزقة القرية ثم يعود مع أولى خيوط الفجر.

وفي ذات مساء خرج ولم يعد ، واستنكر صاحبه الغياب فخرج يطلب أثره ، ومشى يتبع جُرته حيث طافت به على (مَـدْرسين) من مدارس الجيران ، غير أنه لاحظ بعد المدرس الثاني أن جُرة الحمار قد رافقتها جُرة حيوان تأكد للرجل أنها لـ(جُعريٍ) ذكر بالغ وقال بكل تأكيد قد باغته ذلك اللعين وحتماً أن حماري قد هلك .!

قادت تلك الخُطى الرَّجل إلى عُشة خربة على أطراف القرية وهمَّ الرجلُ بدخول العُشة التي اسود جوفها وأدرك أن حماره قد هلك لا محالة وأن ذلك المفترس قد أجهز عليه وأحاله عظماً دون لحم أو جلد.

وما أن توسط جوف العشة حتى لمح بريقاً لعيون جاحظة لا يرف لها جفناً شاخصة إلى السماء ، فقال الرجل : هو الـ (جِعْرُ) لا محالة.

ولما اقترب وأضاء بفانوسه المتهالك إذا بـ(حموله) قد أطبق بفكه على رقبة الجِعر الذي فارق الحياة (كاشِراً) حيث باغت الحمول عدوه بـ(كشْمةٍ) من فكه الذي أحاله الخوف كمَّاشة من حديد فأجهز عليه في الحال وظل طوال الليل مطبقاً بكل قوته على اعتقاد منه أن (الجِعْرَ) ما زال حياً وأنه إن أرخى فكيه فسيقضي عليه .

هرع الرجل إلى (حموله) بصميلٍ وضعه بين فكّيه الملتحمين على رقبة الهالك وأخرج رقبة الجعر الذي هلك (كاشراً) وقال في سرور : الله أكبر عليك من حمول هبت له لمسة أعمى في ظلام !!

وضحك الجميع وضحكت العشة وضحك الصميل ومات الجعر كاشراً .

الجمل وحكمة الوبَّـال

يُحكى أن عجوزاً تسكن في أحد الأرياف البعيدة ترعى مجموعة من النعاج وعدد من الدجاجات وتستعين في تنقلاتها بجمل فحل كان مضرب المثل في القوة والتحمل والوفاء والعافية.

مرت الأيام تلو الأخرى وذلك الجمل يأسر ألباب الساكنين حتى أن صاحبته خشيت أن (يُـلْـده) من أحد (قحومة) القرية بعين تحيله (جِـتماً) .

مضت السنوات وبدأ الجمل يفقد من قوته الكثير وأدركت صاحبته أن غاليها (لـُدِهَ) بعين وما كانت عيناً .

يوماً بعد يوم بدأ الجمل يفقد عافيته ولم تعد تحمل عليه عوداً ولا تقطع به مفازة إلى حاجة ، وشيئاً فشيئاً تدهورت حالته ولم يعد يقوى على الوقوف ، بالغت السيدة في الاعتناء به وبذلت قصارى الجهد لتعيده سيرته الأولى لكن الجمل يتهالك حتى فقد بصره بعد أن فقد الفاقة إلى أكله .

وفي عصر أحد الأيام وبينما العجوز تتوسد (هبشة) قصب تحت ظل عشتها حزينة مكلومة إذا بـ(وبَّال) يعبر الطريق خلف قطيع من الإبل ترعى هنا وهناك ، سلم الرجل وطلب (جُغْم) ماء ،سقته حتى ارتوى ثم

شكت عليه حال جملها المعطوب وكيف انهارت قواه وقد كان جملاً يشق الصخر بأخفافه .

نظر إليها ذلك (الـوبَّال) نظرة ساخرة ، ثم حدج الجمل المكور بأخرى ، وانشق محياه عن ابتسامة عريضة بان أخضرار أضراسه منها وقال (أمره بسيط) جملك علاجه عندي .

شهقت العجوز شهقة كادت أن تخرج معها الروح ثم غابت لبرهة وعادت بـ(مِجْوَلةٍ) قد صفّت عليها قرصين من الخمير ، وبيدها (صَحْفَـة) تفوح شوباً وقد طفحت بحقنة كأنها اجتزءت من السحاب بياضاً وقدمتها لذلك المبتسم الساخر ، وكأنها ترشيه كي يعجل عليها بعلاج غاليها المكور على بعره .

(كلع) الـ(وبَّال) بقرصي الخمير و (جرع) صحفة الحقنة ثم تجشأ جشأة كادت أن تخرج معها الأضلاع وقال : جملك هذا دعيه يرعى مع نياقي لمدة أسبوع فقط و (عيِّني) كيف يرتد (الرِّيع) فيه ، ثم غمز العجوز غمزة فيها من الخبث الكثير تفالتت منها أمغال عينه .

سارعت العجوز إلى جملها وكأنها تزفه وما أن لمح ذلك (المكوَّر) قطيع النياق حتى دبت العافية في أوصاله و (حبج) بروحه وسط القطيع حتى غاب عن ناظري صاحبته .

وما أن أنقضى اليوم السابع حتى أقبل الـ(وبَّالُ) بقطيعه وفي وسطه جملٌ يرغي ويزبد وقد انتفخ سنامه واستحالت عيناه (بوحاً) تكادت تطير من محجريها عاااافية ً ، وقد شق المدى بهديره وتدلت من (لحيه) شُقْشُقةً لو قُطعت لملأت خمسة (موافية) .

لم تصدق العجوز ما رأت ولم تصدق أن جملها الذي بالأمس شارف على الهلاك و (عميت دلايله) عاد اليوم بكل قوته وحيويته ونشاطه وقالت بصوت عالٍ شق القرية : نعل بوها الحاجة كيف تعمي !!

ثم انشق محياها عن ابتسامة رضى بان معها احمرار حنكها .

وفرحت العجوز ، وفرح الوبال وفرحت الدجاجات ولكن الجمل (هجَّ) مع القطيع وحلف معاد يجلس لها في (قبل) لوحده.

غـُزْلية

(غُزْلية) إحدى أهم الدَّلالات التي عرفتها حارتنا في أواخر الثمانينات الميلادية من القرن العشرين ، كانت تدور على بيوتات قريتنا والقرى المجاورة لنا يومين من كل أسبوع حيث تبيع كُرت العجائز ومقالم الشابات وبعض الحلوى ولُبان النـّفاس .

(غُزْلية) هذه من أطيب الدلالات التي عرفناها فهي دائمة الابتسام ودائمة الدعوات لمن تصادفه في طريقها برغم كثرة حديثها .

في إحدى مساءات الصيف الرطبة كانت تتبادل الحديث مع والدتي التي أعدت لها صحناً من المشبك ، وثلاجة (نُعمان) من القشر الغير محلى .

كن يتبادلن الحديث عن جدوى عمل (غُزلية) وكيف أن العمر قد مضى بها وهي تكدح رغم أمراضها ، قالت لأمي يومها بعد أن دست ملو أنملة من الشمَّة المندسة في حُقتها تحت شفتها السفلى : إيه يا شريفة .. من احتكل على تنور جارته بات طيان على كُرَّ بطنه !!

ابتسمت أمي لحظتها وقالت صدقت والله يا أخية دونك أديم الأرض أمخريه طلباً للرزق فما نحن على هذا التراب إلا بناة حتى آخر الرمق !

كم أنت كبيرة يا أمي كيف قلت هذا الكلام ما أدري لكن أعتقد أنه سيناريو القصة

المَحشُ الفَـقيدة !!

يُحكى أن ريفيَّاً في مُنتصف العمر مفتولَ السَّاعدين والشَارب شَدَّ "حَمُولَهُ" مُسافراً ، وأركبه زوجته الحَسناء وأنطلقا يقطعان المفازات ، وقد دَجّج نفسه بالسلاح مخافة قُطاع الطرق ، فاحتزب شَـفرته العريشيَّة وجنبيته الصَّنعانية ، ونبوته المحشو بالذخيرة ، وبعض (مَدَاقِ) وقليل من شَمَة قد يحشو بها عين من يعترضه ، ولم ينس أن يحمل في يده صَميلاً ، وتحت (حَـوكهِ) ثلاثـة أمواسٍ أبو تمساح .

انطلق الاثنان حتى داهمتهما الظلمة ، واستوحشا الطريق وأدركا أن شراً يحيطُ بهما لا محالة خصوصاً وأن المكان مُوحشٌ وبعيّد عن أطراف القرى التي مرا بها.

وما هي إلا لحظة إذ لم يترك لهما ذلك الشبح فُرصة الالتفات حيث انبجس الظلام عن رجلٍ ضخمٍ ومفتول العضلات ممسكاً بـ (مَحَشِ روسي) أسنانه اللامعة تنبئ أن جِلباً قط لم يمر عليها .

صَرَخت المرأة واستنجدت بفَحْلها ، الذي وقف متَّقياً شر ذلك المَحَش ومتأملاً في أمر ذلك اللص ، وأخذ يُطمئنُ زَوجتهُ المَرْعُوبة ، حيث طلب منها اللص النزول من على ظهر حمولها السَّاكن دون حراك .

وهي تصرخ : ألحقني يا رجل ، غِـير عليَّه يا رجل ، وهو يجيبها : خلينا نعين ماهو خبره بالله !!

نزلت وهي تصرخ : أبو غِـير عليَّه !! امرجل عِينه بي !!

قال لها في هدوء العُباد ، لا لا شأعين ماهو خبره بالله الليلة ، ما أبغى أأثم نفسي به !!

وهي تصرخ : أباااااااااو غِـير يا عطنة أمرجل أعماني !! وتصرخ حتى غاب صوتها وهدأ المكان حيث انصرف اللص بعد أن سلب (الحَمول) حُمُولتَهُ وأسكت ضجيج المرأة .

حينها انتفض الرجل مزمجراً ومتوعداً ومتحلِّفاً .. وهو يقول لزوجته أفاااااااااا أفا يا قِل (المَحاش) !!! والله لكان أمزقه وما أبقي فيه لمجعاري مِزْقة !!

نظرت المرأة الكسيرة إلى زوجها المدجج بكل أنواع الأسلحة البيضاء والحمراء والصفراء وقالت : أسْرَه سُرى الله عليك ، والله يا أنت المتوزر بك عريان !!!

كبشُ "عَبْسِية"

خُيوطُ الشَّمسِ تتسللُ إلى أعْشاشِ العصافير وتوقِظُ النَّدى الغافي على تيجان أزهار (حِيَفِ) "ابن امشريف" وتبثُ الحياةَ من جديد في حقولِ القرية التي توسّدت جبال الشّرق واتخذت بلغازي مطلات ترصد العابرين من خلالها.

"سالم" من فتيان تلك القرية البُسطاء عِوَضَ أمه بعد رّحيلِ والده منذ سنوات.

اعتاد كل صباح اقتياد شاتين لأمه مع صرويها وكبشاً وحيداً لجارتهم العجوز "عبسية" إلى الحقول أسفل القرية والتي تعتليها حِيَفُ "مفرح امشريف" حيث ينبت الحَسَكُ و "الميبدن" وشُجيراتُ للبنِّ .

كان سالم مولع بفتاة ترُدُ بالقربِ من مرعاه على بئر ماءٍ قديمة أسفل دارهم المُشْرف على الحقول.

لم يكن يُبادلُها أي حديثٍ مُكتفٍ بمتابعتها من بعيد وإطلاق بعض ترانيم العاشقين التي يسمعها عند نزولهم لسوق الخميس بعيبان مع المتسوقين في شاص (أمحمد امْخَيْـرَه).

كان يحترقُ كل ليلةٍ وهو ينتظرُ بزوغ الفجر ، ليس براً بأمِّه ولا شفقة بكبشِ جارتِهِ العجوز "عبْسِية" الذي تُعِدُّه ليكون أُضْحيتُها في عيدها القادم ،بل كان يقتله الانتظار لرؤية فاتنته الصغيرة.

ما أن شعشع النُّورُ حتى انتفضَ من مرقدِهِ كـ(مَقْحُوطٍ) وانْتَوَلَ حَوكَهُ وشَميزَهُ النِّصْفَ ممزق ناسياً سِرْوالهُ وعِكَاوَتَه الطَّريّة ، مُقتاداً هَوْشَهُ التي انطلقت يَسُوقُها الفـزع .

وما أن وصل إلى البئر حتى "ارْتَـكزَ" كحدٍ منتظراً إشراقة فاتنته .

عاقداً العزم على أن يسكُبَ مشاعِرهُ هذه المرة كالماء لفتاته ، ولها أن تنتوِلهُ أو تتركه لـ(بَـراشِمِ) الشِّياه الظَّامئة.

قلبه الصغير كاد أن يخرج من بين أضلاعه ففاتنتهُ بدت له قادمة من بعيد متكسرة في مشيتها متغنجة وهو ينظر بطرف عينية مُنكَّساً رأسه الخجلُ.

الكبشُ والشاتان وصرويهما انشغلت بملاحقةِ الطريِّ من الحَسَك و (الميبدن) ، وسالم انشغل بالقادمة التي سلبته لبه.

بادرها بابتسامة خجولة ،وألقى تحيته بصوت خافت بالكاد سمعته :

- أنتِ بخيرن واجميلة ؟!

- بخيرن نحمدلله! شيف الله بشه؟

- الله يعافيشي .

- سلمته.

جمع ما تبقى من قوته وأخذ نفساً سُمع له أزيزُ صدرهِ ثم قال :

- أجميلة .. آه ياجميلة بقُلَّشِي بحاجَةٍ لي مدة خاشنْها بقلبي ،قد خذنْ مني ما بقي حتى امْرُقاد مَعَدْ أعْرِفُو من يوم رِيتَشِي تَردينِ وتِحطبين من نَحِي، والله والله أني صَاقِدِنْ ، وما أشْذِبْ عَلِيشي بحَرْفِن واحدن الله يَعلم .

ردت عليه بهمس : مَنْتَ مَيْد وسَالِم ؟! بَانِي عَاجِلةٍ مع بَطُوه وسِيعَةٍ في أمبيت، قالتها وقد ازدادت حمرة وجنتيها .

انتهى ما شَهَقَهُ من هواء وتقطعت أنفاسه وبدى متعرقاً ثم حك رأسه وقال: جميلة .. والله إني أحبِشي وذي الحُب قَدْ شَلَّ قلبي مَهَلْ ذي الفَرِير مَاياشل مِرعي اميبدن ذيِ ؟؟!

والله والله لو يُرجمون بي بِديرَةٍ بعيدةٍ عَنْشِي إن حبِّشي مايِهِيشَ من قلبي.

ابتسمت بخجل وبادرته: ووه وصباحي وسَالم !! أنته صَاقِدِنْ ولا تمزح !؟ مَهَا ذِي الهَرج مَعَشَهْ اليوم ؟

بادرها : جميلة والله أني صاقدن أشْبَحي لي شِيفَنِي اليوم قَدْني عَصِيمِن مَعَلّه مجِلد حتى امْزاد مَعْدْ أهْنِي بو قد خَمِدَّهْ .

الكبشُ والعنزتان وصرويهما تمادت بهم الخطوات حتى استقرت وسط حيفة "مفرح امشريف" التي أعْرَشت فوقها سيقان القِشْد وتزاحمت بِجَنْيها شُجَيْراتُ البُن .

وسالم يصارع الهوى مع جميلة يصور لها كيف أن حبها استباح وقارَهُ وانهك قواه وأسهر ليله !.

(الهَوشُ) استباح جني "امشريف" من القِشْدِ والبن، وجميلة استباحت رُوحَ سالمٍ ، وبينما المشهدان في أوج حرارتهما اغتالت فرحةُ اللقائين رَصَاصَةٌ استقرت في رأس كبش "عبسية" العجوز.

وانتبه المكانُ بمن فيه ثم أردف صوت الطلق صيحةٌ شقَّت المدى لتستقر في آذان الغارقين في غزلهم.

"ابن امشريف" يتوعد (مُفيِّشَ) زرُوعِهِ ، ويقسم أنه سيُثنِّي برأس صاحب الكبش إن وطأت (هَوْشَه) إحدى حيافه مرة أخرى .

تفرق جمع الحبيبين ، فسالم لم يرتد إلا من بيت "عبسية" يبلغُها رحيل كبشها الوحيد على يد "ابن امشريف" رمياً بالرصاص ، وجميلة خلفت جَرَّتها حُطاماً وغابت خلف غبار الطريق ،وهامت شاتي أم سالم وصرويها ، وكبش "عبسية" مضرجاً بدمائه.

"عبسية" لم تُحرك ساكناً وأكملت ارتشاف فنجانٍ من دلتها القِشْر ، بدت هادئة أمام فجيعة سالم الذي اعتقد أن الأرض ستهتز تحت أقدامها غضباً لرحيل وحيدِها وأضْحِيةُ عيدها القادم.

يعرف سالم أن الكبش يشغل اهتمام العجوز ولا يمكن أن تسكت عن أي أذى يُصيبَه كيف وهو قد تركها ميتاً على يد ذلك القَحْم "ابن امشريف".

التفتت إليه بكل وقار وهدوء ثم صَدَمَتهُ بابتسامةٍ أردفتها بـ(جُغْمٍ) أخيرٍ من فنجان قهوتها.

واسالم أنتَ سَلِمتَه وانا امّشِه ؟ ما بِشه خْلافٍ ؟ .. سألته العجوز وهي تَرْبُتُ على كتفه ، وبذهول أجاب سالم بتحريك رأسه بالإيجاب.

ثم طلبت منه أن يذهب للبحث عن شاتي أمه وصرويهما ويعيدها للبيت فأمه بالتأكيد قلقة الآن.

اندسَّ "ابنُ امشريف" بين شُجيرات البُن علَّه يْضفَرُ بصاحب الكبش الذي حتماً سيأتي لاستطلاع أمره .

وماهي إلا لحظات وقادمٌ لم تتَّضِح مَلامِحهُ في مرمى نظر المُنْدسِ .

لم يَجْهَد "ابن امشريف" في مَعرِفةِ القام ، ما جعله يخرج مسرعاً وهو يعيد ترتيب ملبسه وبسط أكمام شَمِيزهُ المَكفوفة على ساعديه المُشْعِرين، ثم رسم ابتسامة أبانت ثنيتيه المفقودتين.

أخذ في الترحيبِ بحرارةٍ ، وهي في الطَّرفِ الآخرِ تجرُّ بعض كبريائها وتتبسم بهدوء .

لم تَنْبس بِبِنْتِ شَفَةٍ واكتفت بابتسامةٍ بسيطةٍ ثم وقفت بالقربِ من فَقيدها المُضرّج وتَمتَمت : مَعَوَّضة بخير إن شاء الله .

تأكد لـ "ابن امشريف" أن رَصَاَصته استباحت جُمْجُمةَ كبش "عبسية" وأن صاحب هذا المذبوح هي من تشاطره بعض أحلامه الهرمة.

شعر أنه سقط من علو ، كيف وهو لم يَدّخِر جُهداً في تقديم ما يليق بحلمه القديم.

"عبسية" لم تستطع إخفاء شوقها رغم فجيعتها في ذلك الممدد.

وحار فؤادُها بين حُزنٍ على الرَّاحلِ وفَرحةٍ بهذهِ الصُّدفةِ الغير متوقعة مع "ابن امشريف".

لم يطل وقوفها .. التفتت إلى الغارق في خَجَلِهِ وقالتْ لهُ بنصفِ ابتسامةٍ : عَوَضْ هذا الكَبش زَيُّه !

ثم انصرفت مُخلفةً وراءها (قحماً) غير الذي كان قبل اللقاء.

في مساء اليوم الثالث من رحيل الكبش وبعد أن أنهى إمام مسجد القرية صلاة العشاء تقاطر بعضُ المُصلين إلى بيت "عبسية" يتقدمهم "ابن امشريف" وقد اتزر بحوك جديد مُقلم وزين رأسه برزم الخطور وأفاض على شعره نصف قُفٍّ من السمن البلدي الخالص ، وماهي إلا لحظات حتى شق صمت القرية (غَطْرُوفٌ) أيقظ النائمين ،توافد بعدها فضوليو القرية من الأطفال والنساء .

وأكدت أصوات النبابيت اعتقاد أم سالم فـ"عبسية" نالت من "ابن امشريف" ، وكان هو عوضها.

لا يعرفُ أحداً بما في قلبي العجوزين من عشقٍ قديم ، لكن الكبشَ عجّل بعيد صاحبته .

فرحت القرية بعريسيها العجوزين، وتناقلت نساؤها قِصَّة كبش "عبسية" ورصاصة "ابن امشريف" متندرين بهما.

أم سالم باعت شاتيها وصرويهما واشترت كبشاً.

وجميلة لم تعُد تَرِدُ بئر الماء حيثُ خطفها ابن خالتها المسافر منذ زمن عروساً ولم تعد للقرية .

و"سالم" المذبوح ، كل صباح يحمل جراحاته ويسيرُ خلف كبشِ أمه الوحيد إلى المراعي المجاورة باحثاً عن بعض قِثْدٍ وشُجَيراتٍ للبُنِ بحسب تعليمات أمه التي تكررها على مسامعه كل صباح.

لم يعُد "سالم" يترنُم بتلك الأغنيات ولم تعد الصَّباحاتُ تُغريهِ بجديدها.

وأضحت الحياةُ بالنسبةِ له في غاية الكآبة حتى أنه اسْتَسرَّ للكبش الواجِم أمامهُ ذات مرعى بأنه يتمنى لو تستقر الرّصاصةُ التي تبحثُ عنها أمَّهُ هذه المرة في رأسه حتى يستريح من عذاباته وحُزنِ فقده لجميلة.

وجميلة ابتلعها المجهول ولم يبق منها إلا قِصَّة العشقِ التي تقض مضجع المسكين سالم ، وكِسَراً من جرتها المُتحطِّمة يوم هروبها ما زال سالم يحتفظ بها في زنبيلٍ مُعلقٍ فوق بابِ حُجْرتهِ.

مِخْبِيَة

عاش ردحاً من العمر عازفاً عن النِّساء ، كان لا يعيرهن أي اهتمام ولم يُحركن شعرة في (جِهَافِه) مذ أن بلغ الحلم كما كان يقول لرفاق الحقول حين أحاديث المقيل .

عاش هذا الرجل منصرفاً إلى حقله الصغير وبقرته وعددٍ من نعاجٍ متهالكة في إحدى تلافيف مرتفعات بلغازي الشرقية .

لم يخطر ببال امرأة عرفته أن يهمس لها برغبة أو أن يُعيرها أدنى اهتمام مع أن شيئاً من لوازم رجولته لم ينقصه .

مرت السنون تلو الأخرى واعتلى الشيب مفرق رأسه وبدت ابتساماته تفتر عن حَنكٍ خالٍ من البياض ، واحدودب ظهره وتراكمت قناني (أبو فاس) الصغيرة تحت (شُبْريه) الرّث وارتصت عُلب الفيكس على(تَخْتهِ) المتكئ بجانبه .

في صبيحةِ يوم شتوي والريحُ الشرقية تعوي في مداخل الأودية أفاق أهالي القرية على نواح موجوع ، الصوت ليس بغريب ولا بعيد ، وماهي إلا برهة حتى تأكد لهم أن الريح نثرت صوت عجوزهم في أزقة القرية ، حينها توافد الرجال إلى (خَذْروشِهِ) المتواضع متسائلين عن الوجع الذي

باغت جسده ليلاً غير أنه فاجأهم بسر توجعه وتلك الأنات التي سافرت بها الريح الباردة فجراً .

لقد أفاق مارد العشقِ في داخله رغم تهالك جسده الذي أكلت أطرافه السنين .

ألح على الواجمين المتحلقين حوله بطلبه للزواج وبصوت مرتفع تفطرت له أفئدة السامعين أريد (مِخْبِية) !!!

حِيرةٌ ارتسمت على وجُوهِهم مَنْ هذه (المِخْبية) التي سَلبت لُب كهلنا في هذا الوقت المتأخر من العمر ؟!

وأي شيطان للحب تسرب في أوردة هذا المتهالك ؟؟؟!!

بادرهم بصوت متهدج : امْجارِية (مِخبية) !!

ولا أريد سواها أي امرأة !!

سَخرَ الجمعُ من كَهْلهم وانصرفوا ما بين مُحوْقلٍ وضَاحكٍ وواجم .

تركوه يصطلي بنارِ عِشقهِ ويُطلق الآهات تلو الأخرى حتى أصبح حديث الرجالِ في حُقولهم والنِّساء في مجالسِهن .

لم يكنْ سواه يعصرهُ الألم وقسوةُ الحرمان وبُعد (مِخْبِية) .. كانَ يلومُ نفسهُ كيف لها أن تَبعثَ هذهِ الرَّغبَة اللعِينة في هذا الوقت الحَرج ؟!

لم يكنْ يُدرك أي تفسيرٍ ولا يُقدم أي تعليلٍ لسائليه ، الشيء الوحيد الذي يؤمن به ويؤرقه هو (مِخْبِية) وحسب .

لم يكن يعرف من أساليب التعبير عن وجده إلا الأنين والنواح كلما رفَّ جِنْحُ طائرٍ أو سَكن .

مرَّت السنوات والنَّارُ تتأجج في صدره والسَّاخرون منه يتزايدون .

وفجأة .... انقشع الظلامُ عن صمتٍ رهيب ٍ إذ لم تحمل الريح أي أنَّةٍ أو آهةٍ في ذلك الصَّباح .!

القرية صامتةٌ تماماً !

لقد رَحل !!

اعتلت رُوحُهُ السّماء وتركت خلفها كل السّاخرين ، والواجمين ، والضَّاحكين ، وبقرة وحيدة ... وقبل كل أولئك .. تركت الحُلم الأخير ... (مِخْبِية).

"رفْسَة عَبده امْجِـتِـيم"

أكملت صرّ خمسينَ كِيساً دسّتْ في كل واحدٍ منها حبتي بُرتقال وحبَة تفاح وقطعة مُشبَّك و دُبْعَي موز ناضِجين.

الفرحُ عمَّ كامل القرية التي تنامُ على ضِفَّة الوادي فـ (قِرّانُ) "شُوقَه" عُقد على "عبده امْجِـتِـيم " البارحة.

انشغلت الجارية مُنذ الصَّباح الباكر بتجهيز عدة العروس ففي عصر يومهم الثاني ستقوم بتنْشِيرِ ما اشتراه العريس من مصانِفَ وشِلَحٍ ومَحَارِمَ وقِطع البزِّ المنوعة على حبل شدَّت وثاقهُ بعودٍ قُدَّ من عرجٍ نابتٍ أسفلَ الوادي.

البيت بمن فيه في شغلٍ لا ينقطعُ والأم تَترقَّبُ خروج ابنتها العروس من مخدعها.

فالبارحة دخل بها امْجِـتِـيم ، وأشعلَ النَّبوتُ غَسَقَ يومهم الأوَّل وأقَضّ مَضَاجِع الطيور في أعشاشها.

توافدت النساءُ من كل أنحاءِ القريةِ ، وما أن تطأُ الواحدةُ منهنَّ (طُرّاحة) أم العروس حتى (تَشْدخُ) بغَطروفٍ يخترقُ المدى .

عجَّ البيتُ بالزائرات اللاتي بدين منشغلات، فمنهُنّ من تُركِّب بالمطاحن ومنهُنَّ من تُخمِّر الحناء ومنهن من تثْقبُ الشَّبَّ وأخريات يُفَحْسنَ جَمَامِيرَ

الخَميرِ ويَرْصُصْنَ الحَواسي، فيما انشغل البعض منهن بسَحْقِ الطيب ، وتوزيع رُبَطِ الخَطورِ وعُذوق الكاذي وعروق الوَالَة.

حَرَكةٌ دائبةٌ لا تتوقف فالنساء يدْخُلنَ ويَخْرجن من وإلى بيت أم (شُوقه) العروس.

و(شوقه) في خِدْرِ زوجها لم تخرج بعد .

صاحت إحدى الحاضرات بغضبٍ : ومتى يا عَطْنَة شتِخْرُجْ امْصُبَيَّة ، قِدِينا أصفَنَّهار !!

همست أخرى لقريبة منها وهي تضحك : يِسْتِوى " امْجِتِيم " كاتِع !! ثم انفجرت ضاحكة.

انتصف النهار و(موافِية) المنزل تلْتهبُ وقد بلغ (مِثعِنُها) أطراف القرية الشرقية، والزائرات يتوافدن ، ففي عصر يومهم هذا سيُلْقِّينَ نظرتهن على ما سيُنثّرُ من هدايا الزوج ، والجارية منهمكة في شد حبالها التي ستحمل تلك العطايا والهدايا .

انشغلت بعض النسوة بإعداد الوليمة بعد أن أنهى العبد (عطوان) ذبح خمسة من (الكِباشة) وسلمها للنساء لحنْذِها وتوزيعِ بعضِ لحمِها ما بين المَغَاشِّ والحَواسي .

الانتظار يدُك فؤاد أم شوقة فتأخر ابنتها حتى هذه اللحظة مُريبٌ ، وسيثيرُ تعليقاتِ النِّسوة المنتظرات حيث سيَقْدحنَ في تربيتها فعادتهن ألا (تُطلّل) العروس في صباح عرسها.

أنهت الجواري غَمْيَ خمسة (مَوافِية) حيث سيتوافد الرجال على بيت عيسى امْحَطِيش (أبو شوقة) من بعد صلاة الظهر لوليمة العرس التي دُعِيت إليها كل القرية والقرى المجاورة.

القلق يحكم قبضته على فؤاد أم شوقة حيث بدت النسوة يلحظن ذلك في حركاتها المرتبكة وشرودها وفتور غَطَارِفِها التي كانت تصم آذان السامعات صباحاً.

الرِّجالُ في الطَّرفِ الآخرِ يتساءلون عن عريسهم، و (يَتَغَجَّرونَ) وضحكاتهم تبلغُ (الطُّراحةَ) التي يجتمع فيها النِّسوة .

وسط هذا الهرج والمرج والصَّخبِ النِّسائي وقلقِ أم العروس وتهكُّمات الحاضرات وضحكاتهن السَّاخرة أقبلت امرأةٌ عجوز تشُقُ الحُشود ممتطيةً (حَمولَها) النَّافِر وهي تصيحُ بصوتٍ لاهثٍ : ياحَرِيم فِيانْ (ليلى أحْمِدِيَّة) ، فيان (ليلى أحْمِدِيَّة) ؟

أشَرنَ لها والدَّهْشة تعقد السنتُهن إلى أم شَوقَه التي يأكُلها القلق أمام (مُركَّبِها) الذي رصَّت عليه دلَّتينِ بجانب (كَابَة) العُشَّة الغَرْبية.

(هَدَّتْ) العجوزُ من على (حَامِلتِها) بحركةٍ تؤكدُ احترافها امتطاءً الحَميرِ ثمَّ انطلقت مُسرِعةً إلى هدفها حتى أمسكت بأمِّ شوقة وهي (مُبَحْجِرةً) فيها وتسألُ بقلقٍ : (ولد امْجِتِيم) دخل على شوقة ؟؟!

وتهز بأكتاف الأم التي الجَمتها الدَّهشة والتي أجابتها بأنها في عُشتِها مع عريسها من (جُهْمَة) حتى الأن والنساءُ يتهامَسنَ ويتغامزن ..الله أبو أمها !!

احتضنت العجوزُ أم شوقة وهي تبكي وأسرت في أذنها أن شوقة أخت عبده !!

نزل الخبر كالصَّاعِقة على الأم و(بَحَّرتْ) و(انَّجلَغَ) فمُها راسماً الدَّهشةَ في أدقِّ صورها.

صاحت الأم : (ولا غِيروا ولا غِيروا) وأسرعت نحو عُشة العَروسين تصيح شوقة!.. شوقة! .. ولا مجيب !!.

حاولت دفع باب العُشةِ الخَشَبي غير أنه بدا مُحَكم الإغلاق من الدَّاخل ، هَرْولت نحو زوجها الذي أخذ يوزع الابتسامات الصفراء التي يَخْنقها القلقُ والخَجَلُ من تأخّر عريس ابنه حتى هذه اللحظة !!

غِير وَلاَ غِير يا عِيسى .. صاحت به الأم !

انتفض الأب من مجلسه وهرول نحو الداعية التي بادرته: شوقة أخت عبده!! شوقة أخت عبده!! غِير ، (أدقُدِقْ) عليهم ما يفتحون .

كالمصعوق انتفض الأبُ وأسرع نحو باب العُشة الذي بادرهُ برفسةٍ كاد (حَوْكَهُ) أن يطير معها.

ليتفاجأ مع زوجتهِ بـ(عبده امْجِتِيم) كاشراً مُزْرَقَّ الوجهِ (مُبَحِجرَ) العينين مكوَّراً وسط العُشة جامعاً كفّيهِ بين فخذيه والرِّيقُ يقطر من فمه الدَّالِع ، وشوقة قد انزَّوت تحت إحدى قُعُدِ العُشة مُرْتَجِفةً .

صاح الأب : شوقة مَالَ عبده غَاشِي ؟!

و ما أن رأت شوقة أمها حتى انسلَّت من تحت القَعَادةِ وارتمت في حضنها باكية وهي تقول: رَفَسْتُه يا إمَّهْ رَفَسْتُه غِيروا عليه بِمْكن عَتَرْ !!.

أسرع الأبُ وأفرغ (قَيْرْوَانةً) من الماء على ذلك المكوَّر الذي أفاق من غيبوبته وهو يلعنُ ويسبُّ عَروسَهُ وأهلها والتي أدخلته في غيبوبة منذ ليلة البارحة بعد أن تناولته بِرَفَسةٍ حَطَّت في مقتل !

انفجرت العجوز ضاحكة وهي تقول : حُرْمَة يا شوقة حُرْمَة !! ربي لك الحمد جات من السَّماء !! ترى عبده أخو شوقة يا عيسى، (عَشْتهُم) من (فِدْي) واحد شهر كامل يوم ما (نَجَّعُتُم) عندنا (ووِجْعتْ) امَّها .

أكمل عبده امْجِتِيم غيبوبته وانفجرَ الأبُ ضَاحِكاً وتعالت زَغَارِيدُ النسوة والتهبت السَّماء بطلقات النَّبابيت واعتلت العجوز ظهر (حَمُولِها) وعادت وهي في غاية انشراحها ، بعد أن ربطت كِيسينِ من (العُتَّامَةِ) على جانب رَحْلِ حَمُولِها الخَشَبي.

وأعلن الأبُ استكمال فرحهم بإخوة عبده امْجِتِيم لشوقة وأكملوا وليمتهم وغدت (رفُسَة عَبده امْجِتِيم) مثلاً تسير به الرُّكبان وتتناقلها ألسنة الرُّواة والحكائين في القرية والقرى المجاورة.

جَلَنْط

مُتفيئاً ظِلَّ شَجَرةِ الضِّبْرِ التي تَتوسَّطُ (قَبَلَ) داره.

وهو متكئٌ على قعادَتِهِ حَدَجَ ابنه الذي أكملَ ثمانية عشر عاماً من عُمرهِ بنظرةٍ وهو (يَهْتُبُ) أجرداً خلف (جَلَنْطٍ) يعودُ لابن جارِهِم سالم ، حَيْثُ (عَكَفَ) قَصْبَةً امتَخَسَها مِن مِزْوامِ والدهِ وشكَّلها مُثلثاً يدفعُ بقاعِدَتهِ تلك الدَّائرة الحَدِيدِيّـة، ويطاردُ بها بعضَ دجاجاتهم .

أمْعَنَ الأبُ النّظَر بحزنٍ في ذلك المشْهدِ ثمَّ زَفَرَ زفْرَةً ارْتجَّت لها أشْنافُهُ وقال بحُرقةٍ : كَشْفَة كَشْفَتك من صُبَا امّتُوزِّر بك عُريان ! قِدِيكَ قحم وعادَك تِطارِد هَذي الحَدِيدة!!.

وبينما هو كذلك يَنْدبُ حَظَّـهُ العاثِرَ مع ابنهِ الوَحيد؛ أقبلت الزَّوجة تجُرُّ خُطاها المُـثقلة بأرْطالٍ من الشَّحْمِ واللحْمِ المتكوِّر تحتَ (آباطِها) وفوق أوراكِها ، وكأنها سمِعت شيئاً من زَفِير زوجها واحتِراقِ (شِـرْوِه) فبادرتهُ قائلةً : يبيوَهْ !! عَسى نِسيت جَهْـلَك ؟ غَدِيت طِجْل وعادك تِضَفِّع مع أمَّك !! وما بطَّلت إلا قِديكَ هُرْبي !!

التَفَتَ إليها كمَنْ باغَتَهُ الرَّدَى ثم استوى على قَعَادتِه مُبتسِماً بشيئٍ منْ خَجَل وهو يَهْرُشُ (حُنْقُفَتَهُ) وقال مُمازحاً : مِضَفِّعْ ولا ضَفْعَة !!

لا والله !! هذي الضّفْعة من هذا المِقِمْ ؛ قالتها الزوجة بشيء من الغضب .

صَمت الزّوج قليلا ثم نظر إلى زوجته الحانِقة وابتسمَ ابتسامةَ مغْبونٍ وطلبها صحن المشَبّك ودلَّةَ البُن وهو يتمتم غاضباً : لا صبَّحْ عليك ولا مسَّى على ولدك الصُباحَة !!

ذهبَ مع الريح !!

صَفّت أربعَةُ من فناجين القَهوةِ أمام زَوجِها المُتكئ على حافةِ قاعدتهِ المُحبَّبة، ثم سَكبت بعضَ ما في جوف دَلتها الثائِرة والتي أغْرت رائحتها الرّجُل فَهبَّ (منتوِلاً) أحدها قبل أن تُكمِل الصَّب في الآخر.

دائماً ما يُداعبُ غرورها ويمْتدِحُ قَهْوتها الصَّباحيَّة التي لم تقْطعها مُنذ ثلاثين عاماً مع بعض كِسرِ المُشبَّك وقِطَع المُجلْجَل وصُبَّاع زَينب التي يبتاعُها أسبوعيّاً من سُوق الخميس بِعيبان.

هذا الصَّباح لم يفترّ ثغرُ (مِشْنية) عن أي ابتسامةٍ على غيرِ عادتِها، وبدَت (فاخِتَة). انتبه الزوجُ لحالة الوجُومِ التي دخلت فيها عجوزه التي ينْعتُها بالحالية دائماً .

باغتها بسؤال بعد أن جَرَعَ فنجان قهوةٍ لم يكترث لحرارته : مِشْنية مالك اليوم ؟

انتبهت له وجاملته بابتسامة أبانت سِنّها المُعلق بآخر عصبٍ في حنكها وقالت :

من البارح يا عيسى وأنا معايه (زالغ ودُكدُك)!!

(تلفلف) عيسى وأخذ بأطرافِ حَوكهِ وكوّمها بين رُكبتيه المُتسلِّختين واستوى في جلسته وكأنهُ يستعدُ لاستقبال أمرٍ جلل .

ارتشفَ جُغماً من فنجانه المصبوب ثم أردف بسؤال آخر : ماخْلاف !! ماهو جانا عسى ؟

نظرت في عينيه وفي مُغلتيها لمعت دمعة وهي تتفرس في وجههِ الذي بدى كـ(طاوةٍ) وطأتها حوافرُ ثورٍ هائج .

تأملته وكأنها تراه لأولِ مرةٍ ثم صرخت بصوتٍ راعدٍ بلغ أطراف القرية قائلة لهُ : أنت يا هذا السِّقِيم اللي رُكبَك كُلها (لُسَن) شتكبني وتتزوج خريفة امْكشرا امِّرمِّلة !؟

ثم انتصبت واقفة وشررُ الغضبِ يتطايرُ من عينها الدامعة ممسكةً دلتها التي انتزعتها من جَحيم المركب ، عازمةً على رشِّ وجهه الذي ما عاد يبين منه أي معلم .

(حُشِرَ) الرجلُ في مكانهِ ، والجَمتهُ المفاجأة وما عاد يملكُ من وعيه شيئاً .

ابتلع ما تبقى من ريقه واستجمع قواه التي فتتها غضبُ الزوجة وهو يرمق قبضتها المُحكمة على عُنق الدلة الَّـلاهبة.

أدرك أن الهلاكَ واقعٌ به وأن لا عُذر سيُنجيه من تلك الهائجة .

تأمل ما حوله من فُرج ثم هب واقفاً ورمى بحوكهِ على وجهها الغاضبِ واطلق ساقيه للريح غير عابئ بضَحِك الصِّغار في أزقة القرية.!!

خيبة !!

مِغشَّين وثلاثة (دِبعَة) دُبّاء ؛ سقَّطتها في جوف تنُّورها المضطرم ناراً ثم أردفت بِسِت جَمامِيرَ من الخَميرِ الحَمْري.

أسْرعت بعدها لِغمْيها بحِيسِيةٍ كَتمت أنفاس ذلك الجوف اللاهب ثم تَتبعت الفتحات التي بقيت بـ (مَلاوِي) مُشبّعة بالماء ليكون ذلك آخر لمساتها التي ودّعت بعدها بُنايَتَها الطِّينية، وهي تُمنِّي نفسها وأسرتها بغداءٍ لم يُذقْ مثلهُ منْ قبل.

توالت السّاعات والانتظارُ يدُكُ صبرَ الجائعين الملتفين في جوف عُشتهم .

وهي ما أن أنهت (تَبْزِير) ملوخيتها التي تغلي في قدرها المعدني على مِركَّب حجري في زاوية الصَّبل حتى (تَلفْلَفت) مُتجهة إلى تنورها المكتنز غداء أبنائها وزوجها العائد للتو من زَهبه.

رفعت مِغْماها الحجري وقد التصقت به الملاوي ، وأطلت بعين المتلهف على مَغَاشِّها الثلاثة والمرتصين حوله من جمامير الخمير.

فجأة .. انشق فمها بفَغْرة طقَّت لها عظام فكّيها ،ثم ضربت على وركيها أسفاً وحسرة وألماً!!

مَغاشها كما هي ، وجمامير خميرها نصف استواء ودباها مازالت بادية الخضرة.

وَلْولت بصوتٍ منخفض وهي تقول : (يا غُش بطْني خَمسْتعشَر سنة مقِدْ أخرجت مغاشي نَيَّـة !!!)

تلفتت يمنة ويسرة تبحث عن السبب وراء هذه الكارثة ، فجوع المنتظرين لا يرحم .

وما هي إلا لحظات حتى عرفت سبب فجيعتها.

اااااااه يا غُشِّي .. صاحت بحسرةٍ لم تتغشاها من قبل وهي تنظُر إلى عين ميفاها التي نسيت أن تسُدُّها كما تفعل كل مرة .

لقد (بَهَت) الميفا وتسرَّبت حرارته من تلك العين المَنسِّية إلى الخارج تاركة ما استُودِعَ جوف التنور نيئاً دون استواء.

انتصبت بكامل قامتها أمام خيبتها ثم وضعت كفيها حول خصرها من الجانبين وهي توزع نظراتها الخجلى ما بين تنورها الباهت والجائعين المنتظرين وسط غُشتها وتتمتم : االمِتْحدُْرِي يطيح أخسَّ طيحة !!

صَدْمَةٌ

بينما هو يتلذذُ بماء شاطِرتهِ الصَّغيرة في فناء داره المتواضِع على أطراف القرية إذ ببياضٍ يلوح في الأفق مُقبل عليه ، و ما أن أنزل يده حتى وقف رجلٌ تظهر عليه مَلامحُ التُقى والوقار كثّ اللحية نزل من على حاملته وهو يُتمتمُ ببعض تراتيل ختمها بالسّلام ومد يده مُصافحاً ثم انفرجت شفتاه عن ابتسامة أعقبها طلب بأن يعُبَّ من تلك الشَّاطرة فهو مُسافر نفذ ماءه .

أسرع إليه بما طلب واستأذنهُ في عجل وفي نفسه أن يُطعم هذا العابر النقي .

غاب لبُرهة ثم عاد يحملُ في يده (مِشْرى) دسَّ فيه كِسرة خَمير وكوز لبن .

التفت يمنة ويسرة والدهشة تتلبسه ، تفقد المكان فلم يجد الشيخ العابر وأيضاً لم يجد شاطرته ومحشين كانت مدسوسة في ساس زربته .

اعتصره الغبن للحظة ثم انصرف إلى عُشّته وهو يُردد :

صدق القائل : ليس كل ما يلمع ذهباً .. ليس كل ما يلمع ذهباً !!!

❁ ❁ ❁

دَحْمَرة

للمرة الرابعة يَزْعطْ بنعجتين من نعاج أحد الرُّعاه من رَدْحتهِ المُزْدحمة بالثمرِ النَّابت الطافح خضرة.

هدده بالضرب لو أن نعجة عدت مرة أخرى على نبته الثمين.

غير أن ذلك الراعي من البلادة ما جعل نعاجه لا تطيع له أمراً .

ومع بواكير صباح اليوم التالي جاء قطيع النعاج الجائع مسرعاً وقد أرْقَط حينها صاحب الزَّهب بين أثلة وحصارة منتظراً دَحْمرة إحدى النعاج على نبته .

وما أن خطت أولى خطواتها حتى أمسك بها وبكبش أملح وفرير صغير .

أوثق رباطها وهو يزمجر غاضباً والراعي الأبله يتوسل العفو الذي قد ناله لأربع مرات لكنه لم يتعظ .باءت محاولاته بالفشل وتذكر عمه الشرس مالك النعاج وما قد يفعله به .

أنصرف المسكين بما تبقى من نعاجه كسيراً خائفاً وهو يتمتم : ما يحنب مرتين إلا أخس الطيور يا مُخْمار .!

كجَّة النّفع !!

علقت (دُبيتها) بسارع (الشُبري) الجديد الذي ابتاعته قبل يومين من سوق هروب من قحم مشهور بحباله المتينة بعد أن بخَّرتها (بكِبْية) جلبتها لها جارتها السمراء ثم أخذت في (كجِّ) ما حلبته من من(جَدْر) بقرتها صباحاً.

وهي تكج تذكرت ابنها الذي (شايم) قبل شهر ليكُد على أمه المسنة وأخذت في الحديث مع نفسها قائلة : هييي يا عبده لا (هنَّاني) عنك مدري طيّان وإلا شبعان ذلحين ، ثم توقفت لبرهة والقت نظرة على محتوى دبيتها حيث رأت الزبدة قد بدأت في التشكل ، انشق وجهها عن ابتسامة رضى وقالت :

هكذا نحن من لم تكجُّه الحياة فلن يخرج نفعه لنفسه و الآخرين.

❁ ❁ ❁

خيبة أمل !!

وضع "مَحشَّه" الرُّوسي جانباً ، ثم "امْتَخسَ" أيبادَهُ المندس بين جُمَّارتين في زنبيله المُعلق بفرع أثلة عجوز نابتة في عرض الزَّبير متفيئاً ظلها المتهالك .

للتو أنهى ثلاثة سُطور من الجَدَل الرَّاوي وأحب أن يلتقط أنفاسه ويلقي نظرة سريعة على آخر منشور له على صفحته في "الفيسبوك" .

شعر بالإحباط لأن أحداً من المضافين لديه لم ينقر زر الإعجاب أو أن "يُباسِطه" حول موضوعه .

تأمل لبرهةٍ في رَدْحَة "شاجِرة" على الطرف الآخر من الزبير وقال في نفسه المكسورة : نحن كذلك في حياتنا بحاجة إلى أن "نُغرِّب" ما لا نفع فيهم من الأصدقاء كي تتسع أرواحنا لآخرين أكثر فائدة .

أطبق أيباده بحزن ثم أعاده بين جُمَّارتيه المندستين في زنبيله وأستل مَسْحتَه وأخذ يضرب بها جذور "الرّيْن" و"الحَصَار" و"العُشار" وسِيقان "القُسيّا "وأصول "الدَّحَق" المتشابك ويلقيه بعيداً حيث اليباس.

❁ ❁ ❁

حـكيـم القـوز !

هزّ الشوقُ حكيماً من قوز الجعافرة إلى صديق يقطن إحدى قرى "المُشوف"، فشدّ حماره وربط سقاءه وبعض زادٍ من "مُشبك" ، وقليل من "صُباع زينب" ، وبعض "دِجر" ، وارتحل قاصداً زيارة صديقه العجوز في تلك الدِّيار.

استقبله الصديق بحرارةٍ ورحب به وأكرمه غاية الإكرام ، وفي إحدى المساءات الجميلة كان الصديقان يرتشفان "المَرْدُوم" تحت ضل عرجٍ سامقٍ ويتذاكران بواكير الصِّبا، وبالقرب منهما وقف شابٌ ممسكاً بمِجْولةٍ وقد "انسَدَحتْ" بالقرب منه "عَجْرةٌ" مُترعةٌ بالحَبِّ الغير مُصفًّى ، وهو يُخاتل الهواء ويحاوره "مُذرِّياً" ما احتوته تلك العَجْرَة .

حدجه "الحكيم القوزي" بنظرةٍ ، ثم أطرق برأسه قليلاً وبلع "جُغماً" من فنجانه "القِحف" وقال لصديقه بهدوء الحُكماء:

النَّاس في الحياة يا صديقي كذلك الحَبْ ، يختطِفُ الهواء منه "البُغاة "و "الجُوش" ويطير به بعيداً ولا يبق إلا ما فيه قيمة ونفع .

هكذا هي مواقف الحياة تكشف قيمة الناس .

التفت إليه صديقه العجوز وقد بلع مِلو فنجانٍ من دلته "المَرْدُوم" وقال له ممازحاً : يا أخي أنت مصيبة فاغرة !

ضحك الصديقان وضحك العرج ، وترك الشَّابُ "مِجْولته" وانصرف خارماً.

إبراهيم جبران

مواليد قرية الحسيني عام ١٣٩٥هـ بمنطقة جازان، المملكة العربية السعودية .

- بكالوريوس لغة عربية .
- مشرف تربوي بمكتب التربية والتعليم بمحافظة العيدابي "تقنية معلومات" .
- له العديد من الإسهامات الأدبية والثقافية والإعلامية ، والعديد من المواقع الإلكترونية التي تخدم منطقة جازان منها على سبيل المثال : (صحيفة جازان الإلكترونية ، موقع جازان لأون لاين، الدليل العربي للسير الذاتية، ملتقى أزاهير الأدبي، كشكول المعرفة).
- عضو في عدد من اللجان المحلية الاجتماعية والتعليمية .

Jubran4u@gmail.com

www.jubran4u.com

https://twitter.com/ijubran

www.facebook.com/jubran4u

http://www.youtube.com/ij4u

www.flickr.com/photos/jubran4u

https://plus.google.com/102732386505493696278